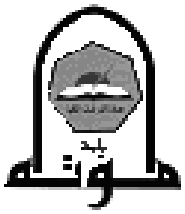

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

# صورة المهجو في شعر حسّان بن ثابت

إعداد الطالب

سلطان عويض مطير العطوي

إشراف

الأستاذ الدكتور خليل الرفوع

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في الأدب العربي / قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2013

**الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر**
**بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة**

MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

# قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب سلطان عويض العطوي الموسومة بـــ:

**صورة المهجو في شعر حسان بن ثابت**

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **اللغة العربية.**

**القسم: اللغة العربية.**

| | التوقيع | التاريخ | |
|---|---|---|---|
| أ.د. خليل عبد الرفوع | | 2013/04/14 | مشرفاً ورئيسا |
| أ.د. علي ارشيد المحاسنة | | 2013/04/14 | عضواً |
| د. أحمد صالح الزعبي | | 2013/04/14 | عضواً |
| د. أحمد عبدالرحمن الذنيبات | | 2013/04/14 | عضواً |

عميد الدراسات العليا

أ.د. عبدالفتاح خليفات

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

**الإهداء**

إلى والدتي العزيزة أطال الله في عمرها.

إلى من شجعني على طلب العلم... والدي بارك الله في عمره ..

إلى إخواني الأعزاء .....

إلى أخواتي العزيزات.....

إلى كل طالب علم.....

إلى كل من له عليّ فضل ومعروف....وله في قلبي ودّ ومحبة.

أهدي لهم جميعاً.... هذا الجهد المتواضع.

**سلطان عويض العطوي**

## الشكر والتقدير

الحمد لله الذي وفقني وأمدني بالصحة والعافية , والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور خليل الرفوع على تفضله بالإشراف على هذه المدونة العلمية ، فجزاه الله خير الجزاء على جهده، ثم أتوجه بالشكر إلى لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة رسالتي هذه وإبداء ملاحظاتهم القيمة.

وأتوجه أيضا بجزيل الشكر إلى الدكتور محمد بن مضحي التوم , الذي كان لتوجيهاته واهتمامه الفضل بعد الله في إتمام هذه الرسالة , والشكر موصول لزملائي الذين كانوا خير عون لي وهم الأستاذ متعب بن منقره البلوي , والأستاذ أمجد بن صياح الدبيسي.

وفي الختام أتوجه بالشكر لجامعتي (جامعة مؤتة) ممثلةً بهيئتها التدريسية والإدارية،وإلى سفارة المملكة العربية السعودية في الأردن ممثلة بالملحقية الثقافية في عمان.

فجزى الله الجميع خير الجزاء.

**سلطان عويض العطوي**

## فهرس المحتويات


| المحتوى | الصفحة |
|---|---|
| الإهداء | أ |
| الشكر والتقدير | ب |
| فهرس المحتويات | ج |
| الملخص باللغة العربية | هـ |
| الملخص باللغة الانجليزية | و |
| المقدمة | 1 |
| **الفصل الأول: موضوعات الهجاء** | |
| 1.1 الهجاء (موضوعاته وصوره) | 7 |
| 1.1.1 موضوع الهجاء. | 9 |
| 2.1.1 صورة الهجاء. | 12 |
| 2.1 حسّان بن ثابت (نسبه ونشأته) | 12 |
| 1.2.1 ميلاده ونسبه. | 12 |
| 2.2.1 حياة حسّان بن ثابت. | 15 |
| 3.2.1 أسباب انتشار شعر حسّان بن ثابت | 16 |
| **الفصل الثاني: الصورة الفردية للمهجو في شعر حسّان بن ثابت** | **18** |
| 1.2 مفهوم الفردية في شعر حسّان بن ثابت (الهجاء الشخصي) | 18 |
| 2.2 المهجو الفرد وصورته الشعرية في شعر حسّان بن ثابت | 20 |
| 3.2 أثر المهجو الفرد في تكوين الشخصية الشعرية عند الصحابي الشاعر حسّان بن ثابت رضي الله عنه | 33 |
| **الفصل الثالث: صورة القبيلة في شعر حسّان بن ثابت الهجائي** | 38 |
| 1.3 صورة القبيلة في شعر حسّان بن ثابت | 39 |
| 2.3 اسباب الشعر الهجائي عند خسان بن ثابت | 42 |

| المحتوى | الصفحة |
|---|---|
| **الفصل الرابع: المهجو الفرد والقبيلة وصورته في شعر ابن ثابت في عهد الإسلام** | 61 |
| 1.4 الصورة الإسلامية للمهجو في شعر حسّان بن ثابت | 61 |
| 2.4 أسباب الشعر الهجائي عند الشاعر حسّان بن ثابت في مرحلة إسلامه | 63 |
| 3.4 شعر حسّان بن ثابت عن شرك قريش وموقفهم الفردي والجماعي من الإسلام في صورة هجائية | 69 |
| **الخاتمة** | 79 |
| **النتائج** | 80 |
| **المراجع** | 81 |

## الملخص

## صورة المهجو في شعر حسّان بن ثابت

## سلطان عويض العطوي

## جامعة مؤتة، 2013

هدفت هذه الدراسة إلى بيان فنٍ من فنون الشعر العربي ألا وهو الهجاء، والذي طرق أبوابه كثير من الشعراء، وكان من أبرزهم الشاعر حسّان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

وقد حاول الباحث أن يجمع صورة المهجو في شعر حسّان بن ثابت، التي وَجَدْتُهُ في غير اتجاه، فكانت تتمثل في المهجو الفرد والمهجو القبيلة، وأيضاً تمثلت في الشعر الإسلامي لحسّان بن ثابت.

وقام الباحث بجمع أغلب الأبيات الشعرية التي تختص بمثل هذا الفن، ثم التعليق عليها ببيان هذه الصورة، وبيان انزياحاتها اللفظية، وانتهى الباحث إلى وضع الخطوط العريضة التي نهجها الشاعر حسّان بن ثابت في هجائه من حيث الانتقال من الصورة الجاهلية للمهجو إلى الصورة الإسلامية، حيث مثّل الشاعر مرحلتين للشعر العربي (المرحلة الجاهلية، المرحلة الإسلامية)، وكان هناك انزياحات لكل من هاتين المرحلتين، قام الباحث ببيانها بصورتها الشعرية.

## Abstract

**Almhjo image in the poetry of Hassan ibn Thabit**

**Sultan Oweidh Atwi**

**Mutah University, 2012**

This study aimed to demonstrate an art of the Arabic poetry, namely spelling, which is open ways many of the poets, and it was the most prominent poet Hassan ibn Thabit Ansari, may Allah be pleased with him.

The researcher tried to collect Almhjo image in the poetry of Hassan bin Thabit, which is found in more than one direction, was represented in the individual and Almhjo individual and Almhjo tribe, and also represented in the poetry of Muslim Hassan ibn Thabit.

The researcher collects verses which specializes in such art, and drop a professional image, and commenting on a statement in this picture, and the statement of Anziahatha verbal, and ended the researcher to outline the approach to the poet Hassan ibn Thabit to spell it in terms of the transition of the image of ignorance of the satirized to the image of the Islamic , where the two phases, such as the poet of Arabic poetry (stage of ignorance, the Islamic stage), and there were shifts for each of these stages, the researcher her statement its image poetry.

**المقدمة:**

لقد جاء الهجاء معانٍ عدّة، حيث تطوّر من المدلول الحسي حتى غدا بالمصطلح الفني المعهود، وسأحاول في هذه الدراسة أن أتلمّس تطوّر الهجاء قدر المستطاع، حيث أخذ الهجاء محاور عدّة هي:

أولاً : المعنى الحسّي: فالهجا تعني (الضفدع) الحيوان البرمائي الزري الشكل المنفر من حيث هيئته وصوته وقفزه. [1]

ثانياً : انتقلت الدلالة من هذا الحيوان إلى ملاحظة الشكل والأثر، فإذا رميت إنساناً ببعض صفات الحيوان فقد عقدت شبهاً بينهما، قال ابن سيده " هذا على هجاء هذا " أي على شكله وقدره.[2]

ويذكر هذا المعنى الزمخشري ، حيث يقول : " وهو هجاء فلان على مقداره في الطول والشكل. [3]

ثالثاً : تطوّرت هذه الدلالة فاتخذت جانباً معنوياً، فإذا أصاب الإنسان جانباً من العطش أو الجوع ثم شرب أو أكل فقد أذهب ما يجد، فتسكين هذا الشعور المصاحب لتلك الظاهرة تسمّى بالهجاء. [4]

رابعاً : ثم تطوّرت هذه الدلالة إلى أثر نفسي اجتماعي للمهجو ، فالهجاء هنا جاء بمعنى التفصيل والتقطيع ، فالشاعر إذا هجا خصمه فقد بدّد ما يتدثّر به من خلق اجتماعي، والهجاء تقطيع اللفظة بحروفها.[5]

---

(1) عجلان، عباس بيومي، (1985)، الهجاء الجاهلي ، صوره وأساليبه الفنية، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط)، ص126.

(2) ابن سيده، أبو الحسن علي بن سيده، المخصص، المطبعة الأميرية، 1316 هـ ، القاهرة. انظر : لسان العرب، مج15، ص353 .

(3) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر،(د،ت)، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية ، القاهرة، ج2، ص535.

(4) ابن منظور، جمال الدين محمد،( د،ت)، لسان العرب، الدار القومية ، مادة (هجو)، مج15، ص353.

(5) المرجع نفسه .

خامساً : جاء الهجاء بمعنى محدّد حين اقتصر على ذكر المثالب وكشف العورات فيطلق على كل قول فيه كشف عن مساوئ الإنسان ، ومن هنا أطلق على المرأة حين تذم عشرة زوجها ، أنها هاجئة والمرأة تهجو زوجها : أي تذم صحبته[1].

سادساً : ثم انتقل معنى الهجاء إلى القراءة والمعرفة، والقول: ومن ذلك حروف الهجاء وفلان يتهجّى، فالهجاء القراءة كما يقولون [2].

يخلص البيومي إلى أنّ الهجاء هو الفن الذي يقود حركة المجتمع العربي في الجاهلية، وهو الذي يكشف زيف الناس، ويقوِّم الانحراف ويتتبع الفساد.

وقد عرف العرب هذا الدور للهجاء فتحاشوا – ما أمكن – المثول أمام شاعر الهجاء، ولمّا كان للهجاء هذه الخطورة في حماية الأخلاق العامة في المجتمع العربي والحفاظ على الصبغة الذاتية لهم، فقد جنحوا به إلى صدق ، ومن هنا فالهجاء يرتبط بالمجتمع، والشاعر الهجّاء لا بدّ أن يحيط بمادته ، ويعي أبعادها، ويعرف ما يوجع منها وما يؤلم [3].

لقد اتّخذ الشعر في الجاهلية العربيّة وصدر الإسلام اتجاهات فنيّة كثيرة، وموضوعات متعدّدة من أجل التعبير عمّا كان يشعر به العرب تجاه خصمهم، سواء على مستوى الفرد، أم القبيلة، وبعد أن جاء الإسلام اتخذ الشعر في بعض اتجاهاته وسيلةً للدعوة والدفاع عن الإسلام.

ولعلّ الباحث يسلّط الضوء هنا على مسألة لا بدّ من ذكرها في مقدمة هذه الرسالة، ألا وهي ما يختصّ بالطبيعة الخُلقية للشعر العربي، حيث نجد شعرهم مختلف الاتجاهات، وذا طبائع متعددة، ولربما لمسنا ذلك الاختلاف في شعر أحدهم وإنّ نفوسهم تتأثر بتقلبات الصحاري التي اتخذوها مساكن لهم، إلاّ أنّ السمة الخلقية تطغى على بقية الاتجاهات الشعرية ففي مديحهم يكبرون الفضائل وفي هجائهم يهاجمون الرذائل ولا يتعدونها إلى الهجوم الشخصي إلا نادراً، وحتى في فخرهم في

---

(1)ابن منظور، لسان العرب، الدار القومية ، ص353 .

(2) المرجع نفسه، ص871 .

(3) عجلان، الهجاء الجاهلي ، صوره وأساليبه الفنية ، ص141 .

حروبهم كثيراً ما يصفون أعداءهم، أما أغراضهم فعديدة ومختلفة الطبائع فبعضه وجداني يميل إلى وصف الطبيعة وهو كثير في شعر امرئ القيس والأعشى ومن صوره البديعة يصف لنا شمس النهار الملتهبة ورحلته عبر الصحراء الغليظة أحياناً والمستوية أحياناً. [1]

أمّا الشاعر في الجاهلية فكان يمثّل الرجل المثقَّف الحكيم الشجاع، يحفظ التاريخ ويستنبط العِظة وكلامه الفصل، إن هجا حطّ من قيمة المهجو وإنْ مدح رفع من قيمة الممدوح، وقصص الحطيئة مع أنف الناقة مشهورة. وكان الشاعر لهذا الاعتبار يطالب بالصدق في كل ما يقول؛ ومن هذا المنطلق أصبح الشعر سجلاً تاريخياً يصف لنا الحوادث في ذلك العصر بدقة، ويحسن أنْ نورد آراء بعض النقّاد في تمثيل الشعر الجاهلي للحياة الجاهلية. يقول نيكلسون: " إنّ مزايا العصر الجاهلي وخواصه مرسومة صورها (كما تعكس صور الأشياء في المرآة) بأمانة ووضوح في الأغاني والأناشيد التي نظمها الشعراء الجاهليون) وقال إنّ الأدب الجاهلي المنظوم منه والمنثور يمكننا من تصوير حياة تلك الأمّة الجاهلية تصويراً أقرب ما يكون من الدقة في مظاهره الكبرى ". وأما تيودور نولدكه الألماني فقال: " يمكن تعريف الشعر الجاهلي بأنّه وصف مزيّن بالشواهد لحياة الجاهلية وأفكارها، فقد صوّر العرب أنفسهم في الشعر صورة منطبقة على الحقيقة بدون تزويق ولا تشويه " وقال نولدكة : " إنّ عادات عرب الجاهلية وأحوالهم معلومة لنا بدقّة نقلاً عن أشعارهم.[2]

ومن خلال ذلك نجد أن شعر العرب له مكانة عظيمة في نفوس معاصريه، فهو قواعد يرسى على أسسه الخلق والفضيلة ، يجسّم الفضائل ومجهر يُصلت على الصغائر ليرتدع مقترفها ، ونادراً ما كان الشاعر يتزلف أو يخادع ، فأفضل الشعر عندهم أصدقه ولذا لم يميلوا إلى المبالغة في الصناعات اللفظية التي تقودهم إلى خيال يبعدهم عن الحقيقة فلم يكن الشعر الجاهلي فنّاً لذاته ، بل معولاً يهدم الآثام

---

(1) الخواجا، زهدي صبري، (1984) الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي، دار الناصر للنشر والتوزيع، مصر، ط1، ص 35.

(2) الجندي، علي، (1996)، تاريخ الأدب الجاهلي، ط3، ح1، ص35.

وسلماً يرتقي بسببه إلى المعالي والفضائل، وهم بهذا ربما اقتربوا قليلاً من فكرة أفلاطون وأرسطو بأنّ أهم غاية للشعر هي الغاية الخلقية وهذا مذهب الكلاسيكية الذي يناقض مذهب الرومانتيكيين الذين لم يطالبوا الشاعر بالصدق المادي كما طالبوه بالصدق العاطفي، حيث قالوا : إنّ الصدق والكذب ينطبقان على العلوم وليس على الفنون، ويرى ابن خلدون أنّ الشعر الحقيقي هو الذي خاطب العاطفة ، ومخاطبة العاطفة قد تثير كوامن متباينة ، ولعلّ أفضل الشعر ما يثير الكوامن النفعية للجماعة الإنسانية ، التي توجه البشرية إلى المثل والقيم فيسعد بها المجتمع ، ويتنفّع بها ويكمن ذلك في الإثارة الخلقية والحمية الوطنية . وهذا ما ينطبق على الشعر الجاهلي فالكثير من شعراء ذلك العصر اهتموا بالآداب الخلقية كالحثّ على الشجاعة وترك الذل وتجنّب الظلم ، والحثّ على الكرم ليسعد الفقير وتُتَقَّى أموال الغني ، وما يلاحظ على أشعار العرب أنهم لم يلجأوا إلى المواربات اللفظية ، فكانوا يقصدون ما يقولون مباشرة فيتضح للسامع هدفهم بسهولة ومن غير كَدٍّ وعناء ، وقلّ في أشعارهم الرمزية ومالوا إلى المعنى المكشوف ، واختلف شعرهم عن بعض شعراء عصرنا الذين اهتموا بالطبيعة لذاتها أو للوصول إلى المعاني المستورة عن طريق رحلات عبر الخيال اللامحدود. (1)

لذا فإنني في هذه الدراسة أحاول أن أسلّط الضوء على فنٍ من فنون الشعر العربيّ، ألا وهو الهجاء، وقد اتخذت ديوان حسان بن ثابت أنموذجاً في التطبيق على هذا الفن، وكان يجمع الهجاء في ذلك العصر ما بين الخيال والصوّر التي يعكسها.

وقد مثّل الهجاءُ وسيلة يستخدمها الشاعر للدفاع عن نفسه، وعن قبيلته بمشاعر يُتخيّل في بعض الأحيان صدقها تجاه قبيلته، وقساوتها تجاه خصمه، بحيث يترك هذا الهجاء أثراً عميقاً في المهجو لشناعةِ ما يُناط به من صفات، لذا كان الهجاء من أقوى فنون الشعر العربيّ التي تعبِّر عن جمالية الصورة الفنيّة في التمثيل والتشكيل للصفات العقلية والجسدية والمعنويّة.

وقد بدأتُ بدراسة فن الهجاء من خلال إبراز الصورة الفنية في ديوان حسّان

(1) عتيق، عبد العزيز، (د،ت) في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، ط1،(د.ط)، ص166.

ابن ثابت، ذلك أنني لم أجد أياً من الدراسات الأدبية والشعريّة التي اعتنت بإظهار الصورة الفنيّة للهجاء بشكل مستقل، إلاّ في بعض الدراسات التي تطرّقت إلى ذكر هذا الفن، والمرور عليه على اعتبار أنّه أحد فنون الشعر العربيّ.

ومن هذه الدراسات، دراسة سالم عبّود مبارك والموسومة بالهجاء في شعر حسان بن ثابت، والتي اعتنت بالأسلوبية المتّبعة في ديوانه، ولم تتطرّق إلى تفنيد الصورة الفنية، ودراستي تتميزُ عن سابقتها ببيان الصورة الفنيّة للمهجو الفرد والقبيلة في شعر حسّان بن ثابت مع تسليط الضوء على الصورة الإسلاميّة في شعره الهجائي.

ومن الدراسات الحديثة، دراسة فاروق محمد عبد الله والموسومة بالهجاء والمنافرات في شعر حسّان بن ثابت والتي بحثت في موضوع الهجاء بشكل عام، سواء من حيث مفهومه، وموضوعاته، وخصائصه في شعر حسّان بن ثابت دون التركيز على المهجو في شعره، وهذا الذي يميّز دراستي عنها، لذا فإنّي قمت بتقسيم بحثي هذا إلى أربعة فصول، وخاتمة صدّرتها بتمهيدٍ قمت فيه ببيان مفهوم الهجاء في الشعر العربيّ، سواء أَكَانَ الجاهلي أم في صدر الإسلام.

أمَّا الفصل التمهيديّ فَخَصّصتُهُ لدراسة مفهوم الهجاء، وأهميته في الشعر العربيّ، ثم بيان سيرة حياة حسان بن ثابت، من حيث ميلاده ونسبه، وحياته الاجتماعية والسياسية والشعريّة.

وفي الفصل الأوّل قمت بدراسة الصورة الفردية للمهجو في شعر حسّان بن ثابت من حيث مفهوم الفرد، وصورته الهجائية، وأثر المهجو الفرد في تكوين الصورة الشعرية عند الشاعر حسّان بن ثابت.

أمّا الفصل الثاني فقد عُني بدراسة الصورة القبلية في الشعر الهجائي عند حسان بن ثابت من حيث بيان صورة القبيلة، والآثار المترتبة على هذه الصورة في شعره.

واختتمت الدراسة بالفصل الثالث والذي تحدثّت فيه عن المهجو وصورته في شعر ابن ثابت في عهد الإسلام، والتحوّل في الصورة الهجائية، وطبيعة هذه الصورة في صدر الإسلام.

وأنهيت الدراسة بعد ذلك بخاتمة، جعلت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

أمّا المنهج الذي استخدمته في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفيّ التحليليّ، تم من خلاله استنطاق النصّ الشعريّ، وتحليل الصورة الهجائية التي كانت تترجم إحساس الشاعر، وتعكس الموقف الإسلاميّ الذي عبّر فيه عن دعوته ودفاعه.

وأخيراً أرجو من الله أن أكون قد وُفقتُ في هذه الدّراسة، فإن أصبت فالله الموفق وله الحمد وإن أخطأت فحسبي أجر المجتهد المخطئ.

## الفصل الأول

## موضوعات الهجاء

والباحث في هذه الدراسة يحاول الإطلال على أحد الفنون الشعريّة التي برع فيها الشاعر حسّان بن ثابت وهو الهجاء، والذي ستتناوله من خلال صورة المهجو في شعره الهجائي، فلا بُدَّ أولاً أن نتعرَّف على صاحب هذا الفن في ديوانه وهو الشاعر الصحابي حسّان بن ثابت رضي الله عنه، وسنتناول في هذا الفصل التمهيدي محورين رئيسيين وهما:

**المحور الأول:** الهجاء من حيث معناه وصوره وموضوعاته.

**المحور الثاني:** حياة الشاعر حسّان بن ثابت من حيث نسبه ونشأته وولده وحياته الاجتماعية والشعرية.

### 1.1 الهجاء وموضوعه وصوره

يوضّح لنا شوقي ضيف في كتابه العصر الجاهلي أن أقدم من حاول تقسيم الشعر العربيّ إلى موضوعات هو أبو تمّام، " فقد نظّمه في عشرة موضوعات، هي الحماسة والمراثي، والأدب، والنسيب، والهجاء، والأضياف ومعهم المديح. والصفات، والسير، والنعاس، والملح، ومذمة النساء. وهي موضوعات يتداخل بعضها في بعض فالحديث عن الأضياف إما أن يدخل في المديح أو في الحماسة والفخر، والسير والنعاس يدخلان في الصفات، كما تدخل مذمة النساء في الهجاء، أما الملح فغير واضحة الدلالة . وجاء في باب الأدب بما يدل على أنّه يقصد به المعنى التهذيبي، غير أنّه أنشد فيه أبياتاً في وصف الخمر، وأغفل إغفالاً تامّاً باب العتاب والاعتذار".[1]

فالهجاء في الجاهلية كان ولا يزال يُقرن بما كانت تقرن به لعناتهم الدينية الأولى من شعائر، ولعلهم من أجل ذلك كانوا يتطيرون منه ويتشاءمون ويحاولون التخلص من أذاه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ونحن نعرف أن الغزو والنهب كان

(1) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص195.

دائراً بينهم، غير أن المغيرين إن أغاروا ونهبوا إبلاً بينها إبل لشاعر، وتعرض لهم يتوعدهم بالهجاء اضطرّوا اضطراراً إلى ردها له.

وقد دار الهجاء عند العرب على كل ما يناقض مُثلهم والتي تعني عندهم فضائلهم ومنها:" الشجاعة والكرم وحماية الجار والوفاء والنجدة وطلب الثأر، وما هي إلاّ أن يدخل الشاعر في الهجاء فإذا هو يخلص القبيلة وأشرافها من كل هذه الفضائل وما يتصل بها فهي لا تكرم الجار ولا تحميه، وهي تفرّ في الحروب وتقعد عن الأخذ بثأرها. ولا يكتفي الشعراء الهجاءون بذلك بل يتعرضون لمخازي القبيلة في حروبها وأيامها التي ولّت على أدبارها فيها منهزمة منكسة الأعلام، واقرأ في المفضليات قصيدة ربيعة بن مَقْروم فتراه يذكر أمجاد قبيلته في أيام بزاخة والنِّسار وطَخْفة والكُلاب وذات السُّلَيمْ، واقرأ قصائد بشر بن أبي خازم الأسدي في المفضليات أيضاً فستجده يفصل الحديث عن حروب قومه مع بني عامر في يوم النسار ومعهم ومع أحلافهم من تميم في يوم الجفار وما أنزلوا بهم من خسائر في الرجال، وتعرض لانتصاراتهم على كثير من القبائل مثل جَرْم والرباب وجُذام وبني سُليم وبني كلاب وبني أشجع ومرة بن ذبيان، ولم يكونوا يقفون عند ذلك، بل كانوا يقذفون في الأعراض ويطعنون في الأنساب". (1)

"ولم يكن جمهور هجائهم يُفْرَدُ بالقصائد، بل كانوا يسوقونه غالباً في تضاعيف حماستهم وإشادتهم بأمجادهم وانتصاراتهم الحربية، ولا نُبعد إذا قلنا إن الحماسة أهم موضوع استنفد قصائدهم، فقد سَعرتهم الحروب، وأمدّها شعراؤهم بوقود جَزْل من التغني ببطولتهم وأنهم لا يرهبون الموت، فهم يترامون عليه تحت ظلال السيوف والرماح مدافعين عن شرف قبائلهم وحماها. ويرتفع هذا الغناء بل قل هذا الصياح في كل مكان، بحيث يُخيّل إلينا أنّه لم يكن هناك صوت سواه، ولعلّ ذلك ما دفع أبا تمام إلى أن يسمّي مجموعته من أشعارهم وأشعار من خلفوهم باسم الحماسة، فهي التي تستنفد أشعارهم وقصيدهم، وهي ديوانهم الذي يسطِّر تاريخهم ومناقبهم ومفاخرهم، وهل هناك فخر أعلى من فخر الشجاعة والتنكيل بالأعداء. واقرأ في المفضليات والأصمعيات فستجد هذا الفخر وما يطوى فيه من حماسة يدور على كل لسان،

(1) ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص201.

وستجد الشاعر فيه يتحدث دائماً عمّا تعتز به قبيلته من الأخذ بأوتارها ومن تضييق الخناق على أعدائها، وهو يعدد أيامها مشيداً بحسبها ونسبها وصَبْرها في الملمّات وكرمها في الجدب وحمايتها للجار وإغاثتها للملهوف، وفي أثناء ذلك يصوِّب سهام الهجاء إلى نحور أعدائهم، وكأنه يريد أن يقضي عليهم قضاء مبرماً."[1]

ومن موضوعات الشعر العربي التي تفنّن الشعراء بها الهجاء، فقد جاء هذا الموضوع بصور عدّة وأساليب وموضوعات تحاكي واقع الحياة التي كان يعيشها الشاعر، سواء من ناحية سياسية أم من ناحية دينية أم من ناحية اجتماعية، والدراسة في هذا المبحث تحاول الإطلال على موضوعات شعر الهجاء عند العرب، وأنواعه.

### 1.1.1 موضوع الهجاء

وما دمت في دراستي هذه أن نبيّن صورة المهجو في شعر حسّان بن ثابت فكان لا بدّ أن نوضّح موضوعات الهجاء باعتبار أنها الأساس الذي تبنى عليه صورة المهجو، فالمهجو يشكل محور الموضوع الشعري المقصود، لذا فإن موضوعات الشعر تنقسم إلى أقسامٍ عدّة تتداخل مع بعضها البعض من صفة الخصوص إلى صفة العموم، فإذا كان الموضوع خاصاً فإنه يكون بحد ذاته شخصياً وإذا خرج من نطاق الخصوص أصبح عاماً، فقسّم الهجاء إلى:

**الهجاء الشخصي:** قد كان الهجاء الشخصي هو أصل الهجاء، ومنه نما وتطرّق إلى موضوعاتٍ أخرى، فالإنسان في علاقته اليومية يصادف أشخاصاً يزورُّ عنهم، وأشخاصاً يُقبل عليهم، كما أن المرء ربما غضب على الإنسان للمنافسة على منافع الحياة ومطامعها، فالعرب يتنافسون على مصادر الماء، وأماكن الإقامة، وتأمين الطرق، وكل أسباب الحياة؛ لأنه لا يكفلها له غير القوة، ولا يبقي عليها إلاّ الأيدي والبطش[2].

والهجاء الشخصي هو الشعر الذي يدور حول شخص معين لأنّه ارتكب إثماً أو

---

(1) ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص202-203.

(2) عجلان، الهجاء الجاهلي، صوره وأساليبه الفنية، د ط، ص162.

اكتسب جريرة أو أتى بما يُغضب الشاعر سواء أكان محقّاً أم محسناً عند نفسه[1].

وهذا النوع من الهجاء يدور على محاور عدة منها، ذكر العيوب الخلقية والتركيز على تقليل الشأن.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الشعر وهو إظهار الصورة الشخصية للمهجو(المهجو الفرد) قول حسّان بن ثابت[2]:

وَأَفلَتَ يَومَ الرَّوْعِ أَوْسُ بْنُ خَالِدٍ[3] يَمَجُّ دَماً كَالرَّعْفِ[4] مُخْتَضِبَ النَّحْرِ

فَإِن تَنجُ مِنها يا جُوَيُّ فَإِنَّها رُحابٌ كَجَوفِ[5] الغارِ مُظلِمَةُ القَعرِ

وهذا النوع من الفن قد اشتهر وانتشر عن حسّان بن ثابت، ونقله الكثير من كتّاب التاريخ في كتبهم، أمثال الطبري في كتابه تاريخ الطبري وطبقات فحول الشعراء، وأسد الغابة، والبداية والنهاية، وكان له دور في نشر شعر حسّان بن ثابت، وأيضاً كتب اللغة كلسان العرب وتاج العروس ومقاييس اللغة، وغيرها ممن استشهدت بشعر حسّان بن ثابت ويستطيع القارئ بمجرد الاطلاع على مثل هذه الكتب أن يجد أشعار حسّان بن ثابت فيها والشواهد لا حصر لها في هذه الكتب.[6]

**الهجاء القبلي:** وهو الشعر الذي يدور حول تعميم الهجاء ورمي الشاعر بالهجاء قبيلةً من القبائل، بحيث يجنح فيه إلى التعميم وإلى الإطلاق.

وهذا النوع من الهجاء يعدّ في نظر الشعراء من أوسع المجالات ؛ لأنّ طبيعة الحياة العربيّة قبل الإسلام تساعد على إيجاده وخاصّة أن العرب ينقسمون إلى قبائل تمثل كيانات سياسية مستقلة ويمثّل الهجاء فيها نمطاً من أنماط الحماية وإظهار القوة

---

(1) عجلان، الهجاء الجاهلي، ص162.

(2) حسنين، سيد حنفي، (1996)، حسان بن ثابت شاعر الرسول، ص181.

(3) أوس بن خالد بن عبيد بن أمية بن خطمة بن جشم بن مالك بن الأول الأنصاري الأوسي.

(4) كَالرَعف: لعلة يريد الرعاف، وهو الدم الذي يسبق من الأنف ويسيل.

(5) رَحُبت الدَّار وأرحبت بمعنى اتسعتْ، والرَّحبُ الشيءُ الواسعُ.

(6) حسنين، حسّان بن ثابت شاعر الرسول، ص12.

ووسيلة للدعاية والإرهاب [1].

وتعَدَّدت أسباب الهجاء القبلي في الجاهلية والإسلام أيضاً، وتدور معظم هذه الأسباب حول الموضوعات المختلفة، منها العداوة الناشئة بين قبيلتين عند احتدام الصراع بينهما، مما يؤدّي إلى وقوع مناقضات شعريّة هجائيّة بين شعراء القبيلتين. ومثالها ما وقع من مناقضة بين جواس بن القعطل وعمرو بن مخلاة الكلبيين من جهة وزفر ابن الحارث من جهة أخرى فقال زفر: [2]

أريني سِلاحي لا أبالكِ إنّني أرى الحربَ لا تزدادُ إلاّ تمادَيا
أيَذهَبُ يومٌ واحدٌ إن أسَأتُهُ بصالح أيامي وحُسنِ بَلائيا

ورد عليه جواس بقوله: [3]

لعمْري لقد أبقتْ وقيعةُ راهطٍ على زُفَرٍ داءً من الداءِ باقيا
مُقيماً ثوى بين الضلوعِ مَحَلُّهُ وبين الحشا أعيا الطبيبَ المداويا

ومن أسباب الهجاء أيضا الحسد فقد يكون بين قبيلتين كأن تحسد إحداهما الأخرى على كثرتها وقوة فرسانها، وهو في هذا السبب يأخذ شكل السخرية والتركيز على العيوب.

فالهجاء القبلي في الشعر العربي يمثّل محور فن الهجاء فيتأكد به دور الشاعر ويكشف عن زيادته ومن خلال الشاعر يبنى مجد قومه، وقد أخذ هذا الاتجاه الشعري اتجاهات متعددة منها الهزء والسخرية وذكر العيوب الخُلقية.

**ثالثا – الهجاء الديني:**

نعلم أن العرب قديما لم يكن لهم عقيدة دينية واحدة ولا مناقضات عقدية، لذا فإنّهم لم يكثروا من الشعر الهجائي الديني، لذا سأحاول تصوير هذا الفن من خلال الصورة الإسلاميّة، وخاصة أنّ دراستي تمتلك فصلاً كاملاً للحديث عن مثل هذا النوع من الهجاء.

---

(1) التونجي، محمد، (1993)، الاتجاهات الشعريّة في بلاد الشام في العصر العثماني، منشورات اتحاد الكتاب العربيّ، ص343.

(2) عجلان،الهجاء الجاهلي، صوره وأساليبه الفنية، ص78.

(3) المرجع نفسه.

فالناظر إلى الصورة الإسلامية يجد أن القرآن شكَّل وسيلة هجائية في بعض آياته لكل من يحيد عن الصواب والحق كقوله: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾ (1)

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ ﴾ (2)، وبعد هذه الخطابات ظهر شعراء إسلاميون أمثال حسّان بن ثابت حملوا لواء الدفاع عن الإسلام والمسلمين. فتصدوا لكل من حاول الإساءة للرسول ﷺ وللمسلمين. وسنتعرض لهذا النوع من الهجاء في الفصل الثالث وبشكل مفصل.

### 2.1.1 صور الهجاء:

تتعدّد صور الهجاء في الشعر العربي وتتنوع، ودراستي هذه إنما تحاول إظهار هذه الصور من خلال المهجو في شعر حسّان بن ثابت. فالهجاء بشكل عام تعددت صوره من الثورة إلى السخرية ثم التصوير، ولربما ينتقل من الصورة الإيجابية إلى الصورة السلبية أو المقارنة، وسأحاول بقدر الإمكان إظهار هذه الصور من خلال المهجو الفرد والقبيلة في شعر حسّان بن ثابت. مبتعداً عن الاستطراد في البحث هنا حتى لا يكون الكلام مكرراً.

## 2.1 حسّان بن ثابت (نسبه ونشأته)

### 1.2.1 ميلاده ونسبه

اختلفت الروايات في نسب حسان بن ثابت، حيث جاء في موسوعة أمراء

(1) سورة المسد، آية: 1-5.

(2) سورة القلم، آية: 10-15.

الشعر العربي أنه حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي من بني النجار أخوال رسول الله ، ولد ونشأ في المدينة المنورة، وكانت ولادته قبل الهجرة بستين سنة ، أو أكثر وقبل مولد الرسول الكريم ﷺ . [1]

وبما أننا نعتمد في هذا البحث شرح ديوان حسان بن ثابت للبرقوقي، فإنّنا سنورد ما ذكره في نسبه. فهو حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن زيد بن مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجاروهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة وهو العنقاء بن عامر مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ويكنى حسان أبا الوليد وأبا عبد الرحمن. [2]

ويذكر الشاعر ما يدلّ على نسبه إلى أزد وغسان، فيقول: [3]

أما سألت فإنّا معشر نُجُبٌ  الأزد نسبتنا والماء غسّانُ

وقال أيضا: [4]

فإنْ تَكُ عَنّا مَعشَرَ الأَسدِ سائِلاً  فَنَحنُ بَنو الغَوثِ بنِ زَيدِ بنِ مالِكِ
لِزَيدِ اِبنِ كَهلانَ الَّذي نالَ عِزُّهُ  قَديماً ذَرارِيَّ النُجومِ الشَوابِكِ
إِذا القَومُ عَدّوا مَجدَهُم وَفَعالَهُم  وَأَيّامَهُم عِندَ اِلتِقاءِ المَناسِكِ
وَجَدتَ لَنا فَضلاً يُقِرُّ لَنا بِهِ  إِذا ما فَخَرنا كُلُّ باقٍ وَهالِكِ
وَيَعرُبُ يَنميهِ لِقَحطانَ يَنتَمي  لِهودٍ نَبِيِّ اللَهِ فَوقَ الحَبائِكِ
يَمانونَ عادِيّونَ لَم يَلتَبِس بِنا  مُناسِبُ شابَت مِن أُلي وَأُولَئِكِ

---

(1) نور الدين، حسن، (2000)، موسوعة أُمراء الشعر العربي، شركة رشاد برس، بيروت ، ط1، ص181 .

(2) البرقوقي، عبد الرحمن،(1929)، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ص ع – ف. وانظر:

السمعاني، عبدالكريم بن محمد بن منصور، (1988)، **الأنساب**، ت: عبدالله عمر البارودي، ط1، دار الجنان، بيروت، لبنان، ج5، ص351.

(3)البرقوقي، (1929)، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص413.

(4) المرجع نفسه، ص295.

ويقول أيضاً: [1]

ومنـــا بنـــو العنقـــاء أبنـــاء مُحـــرق ملوك ملوك الناس في ســـاعة الـــذعر

أما نسبه من جهة أمه، فيذكر أن أم حسّان بن ثابت هي الفريعة بنت خنيس بن لوزان بن عبدون بن ثعلبة.[2] وهكذا نجد الاتفاق بين نسب أمه وأبيه على أنّه خزرجي من الجهتين.

أما من حيث ميلاده فاختلفت الروايات في ذلك فبعضها يشير إلى أنّه ولد في منتصف العقد السابع الميلادي وأنّه عاش ما يقرب من مائة وعشرين عاماً [3]، ويرجّح السيد حنفي رواية المائة عام، فيبيّن أنّ روايات الوفاة قد تعدّدت بتواريخها، فمنها أنّه مات سنة ثمانين من الهجرة وهذا قول الطبري، ومن الروايات من قال إنّ سنة الوفاة هي أربعون من الهجرة، وقيل سنة خمسين من الهجرة، إلا أن السيد حنفي يعتمد في ترجيح سنة أربعين من الهجرة لأمرين:

**أولاً:** أن أخبار حسّان بن ثابت قد انقطعت في أواخر عهد علي بن أبي طالب وبالتالي تكون أقرب الروايات في وفاته هي أربعين من الهجرة.

**ثانياً:** أنه لما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة كان حسّان بن ثابت يبلغ من العمر ستين عاماً وبالتالي يثبت هذا أنه عاش بما لا يزيد عن مائة عام.[4]

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت، وهذه الأبيات أخذت أيضاً مـــن كتـــاب الأنســـاب للسمعاني، ذلك لأنها جاءت في موضعها دلالات على ما ذكره صاحب الأنساب من نسب حسّان بن ثابت كشواهد شعرية.

السمعاني، الأنساب، ج1، من ص3 إلى ص 24.

(2) حسنين، (1963)، حسّان بن ثابت، شاعر الرسول، مصر، ص26.

(3) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (1984)، كتاب العِبر في خبر من عبـــر، ت: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ج1، ص 59.

(4) حسنين، (1963) حسّان بن ثابت، ص27.

### 2.2.1 حياة حسّان بن ثابت

**نشأته**

نشأ الشاعر حسّان بن ثابت نشأة قحطانية، فهو من بني النجّار من سكان يثرب قُدّر له أن يشهد جميع الأيام التي كانت بين الأوس والخزرج من اقتتال كيوم بُعاث ويوم الدّرك فكان يمثّل الفنان الموهوب الذي ملك عليه الشعر حسّه وأرهف سمعه ودفعه في تؤدة ولين إلى هذه الأجواء التي يحلّق فيها بشعره. [1]

وقد نشأ حسّان في أسرة لها شأن عظيم في الجاهلية والإسلام، فوالده ثابت بن المنذر وكان حكماً بين الأوس والخزرج في حرب يوم سُمير، وله إخوة منهم أوس ابن ثابت الذي شهد العقبة مع السبعين من الأنصار كما أن الرسول ﷺ عندما هاجر إلى المدينة آخى بينه وبين عثمان بن عفان، وله أخ آخر وهو أبي ابن ثابت.[2]

أما أبناؤه فكان له عبد الرحمن، وقد اشتهر أيضاً بالشعر وأمّه سيرين أخت ماريا القبطية، وقيل عنهم أي عن آل حسّان أنهم أعرق الناس في الشعر. [3].

وتمثل حياة حسّان بن ثابت ممازجة بين ثقافات وحضارات متعددة فقد عاش في عصر الجاهلية ما قبل الإسلام وعصر الإسلام عندما ناصر النبي ﷺ وسمّي بشاعر الرسول ﷺ، لذا نجد أنّ حياته قد تنوّعت سواء على المستوى الشعريّ أم الاجتماعيّ، فقبل الإسلام كان له اتصال بملوك الغساسنة في الشام إذ مَدحَهم وتغني بهم شعراً، وكان متصلاً أيضا بملوك الحيرة وملوك العراق فأغدقوا عليه العطايا والهبات.[4] وكان له منزلة رفيعة في نفوس الولاة والأمراء، يقول أبو عبيدة:"فضل حسّان الشعراء بثلاث: شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة،

---

(1) الطباع، عبدالله أنيس، 1955، شاعر النبي حسّان بن ثابت، الجامعة اللبنانية، بيروت، ص10.

(2) حسنين، ديوان حسّان بن ثابت، دار المعارف، ط1، ص9.

(3) ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (1994)، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسّان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، ج5، ص 193.

(4) الطباع، شاعر النبي، ص 10، ص12.

وشاعر اليمن كلّها في الإسلام، فقد أجمعت العرب على أن حسّان أشعر أهل المدر أي الحضر". [1]

وقال محمد بن سلام في كتاب طبقات الشعراء القرى العربية خمسة وهنّ المدينة ومكّة والطائف واليمامة والبحرين وأشعرهنّ قرية المدينة، شعراءها الفحول خمسة ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس، فمن الخزرج من بني النجّار حسّان بن ثابت، ومن بني سَلَمَة كعب بن مالك، ومن بلحارث بن الخزرج عبدالله بن رواحة، ومن الأوس قَيْس بن الخطيم من بني ظفر وأبو قيس بن الأسْلَت من بني عمرو بن عوف، وأشعرهم حسّان بن ثابت هو كثير الشعر جيده، وقد حُمل عليه ما لم يُحْمَلْ على أحد لمّا تعاضهتْ قريش واستبَّتْ وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تليق به، وكان أبوه ثابت من المنْذِر بن حرام من سادة قومه وأشرافهم ، والمنذر الحاكم بين الأوس والخزرج في يوم سُمَيْحَة، وهو يوم من أيّامهم، وكانوا حكّموا في دمائهم يومئذ مالك بن العجلان بن سالم بن عوف فتعدّى في مولى له قُتِل يومئذ، وقال لا آخذ إلاّ دية الصريح فأبوا أن يَرضوا بحكمه فحكّموا المنذر بن حرام فحكم بأن أهدر دماء قومه الخزرج واحتمل دماء الأَوس.[2]

هكذا نجد أن حسّان بن ثابت عاش حياة مليئة بالأحداث متأثّرة بالقيم والعادات، فكان يمثّل بشعره المؤرخ للجاهلية في جاهليته والداعية للإسلام في إسلامه فشكل في شعره وثيقة تاريخية كان امتدادا بين عالمين مختلفين، فهو يمثّل سلسلة الشعراء الأعلام في الجاهلية والإسلام.

### 3.2.1 أسباب انتشار شعر حسّان بن ثابت:

لقد تعددت أسباب انتشار شعره وكان منها:

1- الكتب التي تكلمت عن المغازي وعن الأعلام وسيرة النبي ﷺ، ومن الذين كتبوا ودونوا لحسّان بن ثابت شعراً ابن شهاب الزهري وعاصم بن عمرو

(1) الطباع، شاعر النبي ، ص 13.

(2) الجمحي، محمد بن سلام، (د،ت)، طبقات الشعراء، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ص52.

صاحب السير والمغازي، وابن سحاق في كتابه المغازي، وابن هشام في سيرته.[1]

والسبب في وجود شعر حسّان بن ثابت في كتب السير والأعلام والتاريخ هو أن شعره كان يشكل تأريخاً للأحداث والوقائع وحركة المجتمع وحركة انتشار الدعوة الإسلامية فهو أرخ لموقعة بدر سواء من حيث جيش المسلمون وعددهم أم من حيث المشركين، يقول في ذلك:

أَلا لَيتَ شِعري هَل أَتى مَكَّــةَ الَّــذي  قَتَلنا مِنَ الكُفّارِ فــي ســاعَةِ العُســرِ
قَتَلنــا أَبــا جَهــلٍ وَعُتبَــةَ بَعــدَهُ  وَشَــيبَةَ يَكبُــو لِلْيَــدَيْنِ وَلِلنَّحْــرِ[2]

فغدت هذه الأشعار وغيرها وثيقةً تاريخيةً يُرجع إليها في تحديد انتصارات المسلمين لذا اشتهر كثيرا من أصحاب كتب المغازي والتاريخ فيها وهذه الكتب أصبحت مصدراً من مصادر شعر حسّان بن ثابت.[3]

2- ومن الذين ساهموا في نشر شعر حسّان بن ثابت الصحابة من الأنصار، فهو يمثّل بنظرهم الشاعر الذي يمجّد مخاطرهم بالجاهلية وفضلهم على المسلمين في الإسلام حتى أنهم كانوا يتقصون أخباره كما تذكر بعض الروايات ومنها رواية ابن النديم.

(1) حسنين، ديوان حسّان، ص11.

(2) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص178..

(3) الطباع، شاعر النبي، ص45، وما بعدها.

## الفصل الثاني

## الصورة الفردية للمهجو في شعر حسّان بن ثابت

**تمهيد:**

يحاول الباحث في هذا الفصل تسليط الضوء على صورة المهجو الفرد (الصورة الشخصية) وبيان مفهوم الفرد عند حسّان بن ثابت وما لهذه الصورة الشعرية من أثرٍ عند الشاعر في شعر حسّان رضي الله عنه.

وبالتالي فإنَّ الهجاء بصوره المتعددة يحوي ضروباً من الصور التي تضاف إلى الآداب الإنسانية في القديم والحديث.

### 1.2 مفهوم الفردية في شعر حسان بن ثابت (الهجاء الشخصي)

إنّ هدف الهجاء هو الحط من قدر المهجو في غالب الأحيان، وذلك بأن يجعله الشاعر ضحكةً لمسامع للناس، لذا فإنّ العرب حرصوا أشد الحرص على التمسك بالسمعة والأخلاق، والتعلّق بالشرف وطيب النسب، حتّى لا يقعوا في فم الشعراء.

وقد كان للهجاء الشخصي نصيب كبير في ديوان حسّان بن ثابت، والباحث هنا يحاول أن يستجمع ما يستطيع جمعه من صور المهجو الفرد في ديوان حسان بن ثابت.

**الفرد ومفهومه في شعر حسّان الجاهلي والإسلامي.**

وقبل الغوص في مفهوم الفردية في شعر حسّان بن ثابت نجد لزاماً علينا أن نعرج ولو بشكل مختصر عن الصورة الشخصية في الشعر العربي.

فلقد حاول العرب في هجائهم إظهار الصورة الشخصية للفرد بطريقة يصيب فيها المقتل عند خصمه.

فالشعراء كانوا يتناولون صورة المهجو من حيث الوقيعة في الأعراض والأنساب، ذلك أنّهم يتعرضون لوصف المرأة على سبيل المثال وصفاً يبلغون فيه حداً لا تستسيغه الأذواق السليمة الحضرية اليوم، فيذكرون منها سوأتها ويصورون

انحطاط عفتها بالحق أو بالباطل سواء أكانت زوجاً أم أماً أم شقيقة.[1].

وكذلك وقع هجائهم على الأشخاص الذكور من حيث الطعن بالنسب ولنا أن نتصور ذلك من خلال ما قاله حسان بن ثابت في هجائه لأحد الأشخاص، حيث قال:[2]

قدْ كُنْــتُ لا أَهْــوَى السِّــباب فَسَــبَّني  أَحْــلامُ طَيــرٍ فــي قلــوبِ حَمِيــرِ

تعرّض الشاعر العربي في شعره الهجائي وبالذات الشخصي إلى بيان مساوئ الصورة الجسدية، ولم يكتفِ بالقدح في الأعراض والأنساب، بل كقول حسان بن ثابت:[3]

وَأَفلَتَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوْسُ بْــنُ خَالِــدٍ[4]  يَمَجُّ دَماً كَــالرَّعْفِ[5] مُخْتَضِــبَ النَّحْــرِ

فَإِن تَنجُ مِنهــا يــا جُــوَيُّ [6] فَإِنَّهــا  رِحابٌ[7] كَجَوفِ الغــارِ مُظلِمَــةِ القَعــرِ

وهذا اللون من الشعر الهجائي (المهجو الفرد) كان من الفنون الشعرية الصعبة، فلربما أودى بحياة أناس، ذلك أن فيه حطاً من قيمة المهجو وتَنذُّراً وسخريةً وتهكّم وضحك، فيسير ذكره على الأفواه، تبتسم إشفاقاً حيناً وانتقاماً حيناً آخر، فكان يمثّل آلة تصوير تلتقط ما ترى من ألوان وظلال، بل مثل ريشة فنانٍ تجسّم وتضخّم كيف ما تريد لتبلغ من المهجو الغاية. [8]

ولم يختلف الشاعر حسّان بن ثابت عن أمثاله من شعراء العرب في بيان

---

(1) الدهان،محمد سامي، فنون الأدب العربي (الهجاء) دار المعارف، القاهرة، ط3، ص12.

(2) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت، ص213.

(3) المرجع نفسه، ص185.

(4) أوس بن خالد بن عبيد بن أمية بن خطمة بن جشم بن مالك بن الأول الأنصاري الأوسي.

(5) كَالرَّعْفِ: لعلّة يريد الرِعاف، وهو الدم الذي يسبق من الأنف ويسيل.

(6) جويت عن كذا، وأصابني جوّي وهو داء في الجوف لا يستمرأ منه الطعام، واجتويت الطعام واستجويته. واجتوينا أرضكم: لم يوافقنا غذارها. وفي الحديث: "دخل العرنيون المدينة فاجتووها" ونزلنا في جواء بني فلان وهي فجوة في محلتهم وسط البيوت، وقيل هو جمع الجو وهو الهجل. وأقمت في جو اليمامة أي في وسطها.

(7) رَحُبت الدَّار وأرحبت بمعنى اتسعتْ، والرَّحبُ الشيءُ الواسعُ.

(8)الدهان، محمد سامي، فنون الأدب العربي (الهجاء) دار المعارف، القاهرة، ط3، ص41.

صورة المهجو الفرد سواء أكان رجلاً أم امرأةً.

ولكنّ يلاحظ على شعر حسّان بن ثابت في هجائه الفردي يجد أنه يغلب عليه طابع الهجاء الفردي المعنوي، والذي يظهر صورة الصفات المعنوية للشخص كالجبن والبخل والنسب.

## 2.2 المهجو الفرد وصورته الشعرية في شعر حسّان بن ثابت.

### الصور الشعرية للمهجو الفرد.

ومن خلال استقصاء ديوان حسّان بن ثابت وجد الباحث أنّ الشاعر قد كان له وقفات مع المهجو وكانت معظم الصور البارزة في شعره يختص بها الرجال، وكأنّ خطاب الشاعر موجّه للرجال كونه يعيش حالة من الحرب مع نفسه وغيره.

من ذلك يقول حسّان بن ثابت في فرار الحارث بن هشام يوم وقعة بدر: [1]

يَا حَارِ،[2] قَد عَوَّلْتَ[3]، غيرَ مُعَوَّلٍ[4] عِنْدَ الهِيَاجِ[5] وَسَاعَةِ الأحْسَابِ[6]

إذْ تَمْتَطِي سَرُحَ[7]اليَدَيْنِ نَجِيبَةً[8] مَرَطَى[9] الجِرَاءِ، خفيفَةَ الأقْرَابِ[10]

والقَوْمُ خَلْفَكَ قَدْ تركتَ قِتَالَهم تَرْجو النَّجَاءَ، فليسَ حينَ ذَهَابِ

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص45.

(2) قوله: يا حار، منادى مرخم حارث.

(3) وقوله حار قد عولت أي بمعنى وطنته إذا وطن نفسه لعيه ولجأ إليه.

(4) وقوله: غير معول ، حال، يقول إن فرارك هذا غير مجد عليك ، فضلاً أنه غير مشرف ، ويقال أعلى تعول بكثرة الصياح وبكلبك النباح إذا استعان عليه بغيره .

(5) والهياج: الحرب .

(6) وساعة الأحساب، أي ساعة المفاخر بها .

(7) السرح: وتعني سريعة اليدين، يعني فرساً، والمقصود في هذا البيت وصف من صفات الفرس.

(8) نجيبة: أي عتيقة كريمة وبالاحرى قوية خفيفة سريعة.

(9) المرط: وتعني السريعة.

(10) خفيفة الأقراب، والقرب تعني الخاصرة.

هَلاّ عَطَفْتَ علـــى ابـــنِ أُمِّـــكَ [1] إذ ثَـــوَى قَعْصَ الأسِنّةِ[2]، ضَـــائِعَ الأسْـــلابِ[3]

ففي هذه الأبيات وصف حسّان بن ثابت الحارث بن هشام [4]، بالجبن وهذه أول الصور للمهجو الفرد في شعر حسّان بن ثابت تظهر معنا بحسب ترتيب الديوان.

ويدل على هذه الصفة أيضاً ذلك التصوير الذي صوّره حسّان للحارث، حيث فرَّ، ويصوّره بالشخص الذي يمتطي جواده مسرعاً، والكلاب خلفه تنبح، ولم يكتفِ الشاعر بذلك، بل صوّره هارباً.

يقول: [5]

جَهْمـــاً[6] لَعَمْـــرُكَ لَـــوْ دُهِيـــتَ بِمثْلِهـــا لأتَـــاكَ أجْـــثَمُ[7] شـــابِكُ الأنْيَـــابِ[8]

عَجِلَ المَلِيـــكُ[9] لـــــهُ، فأهلَـــكَ جمعَـــهُ بِشَـــنَارِ[10] مُخْزِيَـــةٍ، وسُـــوءِ عَـــذَابِ

وكأنّه يقول للحارث إنك لو بقيت ولم تهرب لوقع عليك ما حصل مع أبي جهل، فلم يتهمه حسّان بالجبن صراحة ولكنه تفنن في وصف الحالة التي كان عليها،.

---

(1) وقوله: هلا عطفت على ابن أمك، يريد أبا جهل فهو أخو الحارث. وثوى: هلك وقتل وأقام في قبره.

(2) قعص الأسنة، فالقعص أن يضرب الرجل بالسلاح أو بغفيره فيموت مكانه قبل أن يرميـــه، وفي حديث ابن سيرين، أقعص ابنا عفراء أبا جهل، أي أجهزا عليه.

(3) ضايع الأسلاب، من الضياع، أي قتل أخبث قتله وأحقرها إذ ضاعت أسلابه.

(4) الحارث بن هشام هو الحارث بن عامر بن نوفل، وهو الذي قال فيـــه رســـول الله ﷺ أن لقيتموه فاتركوه لأيتام بني نوفل، انظر: الديوان، ص47.

(5) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت، ص46.

(6) والجهم من الوجوه الغليظ المجتمع في سماحة، ومن معاني الجهم، أي العاجز الضعيف.

(7) فقول أجثم من جثم الإنسان، أي برك كما تبرك الإبل.

(8) والشابك من أسماء الأسد، وأسد شابك مشتبك الأنياب مختلفها .

(9) قوله: عجل المالِيك، أي عجل الله سبحانه وتعالى له ولم يمهله فقتله وأهلك من معـــه مـــن عليه قريش هلاكاً مصحوباً بالعار وسوء العذاب .

(10) فالشنار أقبح العيب والعار، يقال عار وشنار.

ولم يكتفِ حسّان بن ثابت في وصف الحالة التي كان عليها الحارث، إنّما حاول أن يبيّن سبب هذا الجُبن في صورةٍ هجائيةٍ تخص النسب، فبيّن الشاعر حسّان بن ثابت أن سبب الجُبن الذي كان فيه عائدٌ إلى ذلك النسب، والذي يعود إلى العقاب وهو عبد كافٍ لبني تغلب فيقول [1]:

لَــوْ كنْــتَ ضَــنْءَ كريمَــةٍ أبْلَيْتَهــا حُسْنى، ولَكِــنْ ضَــنْءَ[2]بنْــت عُقــاب[3]

فيقول له لو كان أصلك كريماً لأبليت في الحرب بلاءً حسناً ولم تهرب، ولكن هربت وجبنت ولا ألومك في ذلك ما دام نسبك يعود لعبدٍ، فإنك سترث منه الجبن والخوف، لذا هربت مسرعاً.

ومن صور المهجو الفرد التي ذكرها الشاعر حسّان بن ثابت، صورة الرجل ذميم الأخلاق كالسارق.

ويبيّن حسّان من خلال شعره أن مثل هذه الصفات تظهر على الشخص بسلوكه المشين، فلربما يكون نسبه أصيلاً ولكن بتصرفاته هذه أوقع نسبه بالخزي والعار. ومنه.

ومنه قوله: [4]،[5]

يا حَارِ قدْ كنْتَ لْولا مــا رُميــتَ بِــهِ للــه دَرُّكَ، في عِــزٍّ وفــي حَسَــبِ

جَلّلْــتَ قَوْمَــكَ[6] مَخْــزَاةً ومَنْقَصَــةً ما لم يُجَلَّلْــــهُ حــيٌّ مِــنَ العَــرَبِ

ثم يتهكّم بعد ذلك على بني الحارث من أن أبناءهم إذا كانوا بصورة الخونة التي ذكرها فبؤساً لهم ولشيخهم ولمن يأتي بعده، فيقول هاجياً: [7]

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص46.

(2) الضنء: الأصل والمعدن، وضنء كل شيء نسله ويقال فلان من ضنء، صــدق وضــنء سوء.

(3) قتيلة بنت النضر بن الحارث أو أخته.

(4) الدهان، محمد سامي، ذفنون الأدب العربي (الهجاء) دار المعارف، القاهرة، ط3 ص41.

(5) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت، ص52.

(6) جللت قومك : أي ألبستهم مخزاة ومنقصة.

(7) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص52.

بِئسَ البَنونَ وبِـئسَ الشـيخُ شـيخُهُمُ تَبّاً[1] لِذلِكَ مِنْ شيخٍ ومِـنْ عَقِـبِ[2]

ويلاحظ الباحث بعد هذه الصورة الهجائية الفردية المتمثلة بهجاء حسّان بن ثابت للحارث بن هشام ما يلي:

**أولاً:** إن المهجو الفرد المتمثل في الحارث بن هشام هنا أنيط به أكثر من صفة، في آنٍ واحد، فجاءت كل واحدةٍ منها متداخلة مع الأخرى، سواء أكانت جسدية أم معنوية.

ولكن الشاعر حاول ربط الصفات الجسدية بالمعنوية ــ تمثّلت فيما سبق بالحالة المزرية التي تصيب الإنسان عند الخوف أو الفزع، فحسّان قد حاول أن يظهر الصورة الفنية في شعره من خلال انتقاله بالمتلقي من صورة إلى أخرى في آنٍ واحد مع ارتباط السلوك النفسي في كل مرة بصورةٍ هجائيةٍ جديدةٍ.

**ثانياً:** إن حسّان بن ثابت استخلص صفة الجبن والنقاصة والخزي من الفرد المهجو وعدّها ملتصقة بالأصل.

فأراد من خلال شعره التركيز دائماً على الصور المعنوية وأن ما يعتري الإنسان من صفات ذميمة راجع في كثير من الأحيان إما لسلوكه المشين أو لأصله.

نعم لقد أجاد حسّان بن ثابت في إدراج انزياحات مفهومية في تفسير شعره الهجائي، ذلك أنه عندما يفسّر يجعل القارئ مضطراً إلى تعميم الفكرة التي طرحها حسّان في هجائه.

وفي مشهد آخر لهجائه، يقول [3].

مَنْ مُبْلِـغٌ صَـفْوَانَ[4] أنّ عَجُـوزَهُ أمَةٌ لِجـارَةِ مَعْمَـرِ بـنِ حَبِيـبِ[5]

---

(1) التب : الخسار والهلاك ، وتباً له على الدعاء نصب لأنه مصدر محمول على فعله.

(2) وقوله، ومن عقب : فإنه يقال لولد الرجل عقبه.

(3) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص55.

(4) هو صفوان بن أمية.

(5) معمر بن حبيب ، هو معمر بن الحارث بن معمر بن حبيب القرشي الجمحي ، أمه قتيلة بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون أسلم معمر قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم وشهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها وتوفي في خلافة الفاروق.

أمَةٌ يُقالُ مِــنَ البَــرَاجِمِ[1] أصْــلُها نَسَبٌ مِــنَ الأنْسَــابِ غيــرُ قَريــبِ
ســـائلْ بِحَنْبَــلَ[2] إن أرَدتَ بيانَهـــا مـــاذا أرادَ بِخَرْبِهـــا المَثْقُـــوبِ[3]
لوْلا السِّفارُ[4] وبُعْــدُ خَــرْقٍ مَهْمَــهٍ لَتَرَكْتُها تَحْبــو علــى العُرْقــوبِ[5]

يتحدث حسّان عن هذه الصور الشعرية في ذم نسب صفوان فينيط به صفة العبودية التي جاءته من أمه، وحتى تظهر الصورة جلية لم يكتفِ بالذم في النسب من حيث الأصل، وإنما يوجّه نظر المتلقي إلى التصديق الجازم بأن ما جاء به هو وجه الحق والصواب كيف ذلك ؟ والجواب إنّه يطلب سؤال ابنهما ثم النظر إلى شقوق آذانهما فيجدها في آذانه المثقوبة لوضع الأقراط.

وفي نفس السياق يهجو حسّان بن ثابت الوليد بن المغيرة [6] بقوله: [7]

مَتَــى تُنسَــبْ قُــرَيْشٌ، أوْ تُحَصَّــلْ فَمَــا لــكَ فــي أرُومَتِهَــا نِصَــابُ
نَفَتْكَ بَنُو هُصَــيْصٍ[8] عــنْ أبِيهــا لِشجْعٍ[9] حَيْثُ تُسْتَرَقُ[10] العِيَابُ[11]

---

(1) البراجم: أحياء من بني تميم سمو ذلك لأن أباهم قبض أصابعه وقال كونوا كــالبراجم فــي يدي أي لا تفرقوا وذلك أعز لكم. والبراجم هي: جمع بُرجمة وهي مفاصل الأصابع.

(2) قوله : سائل بحنبل على حد قوله تعالى : سأل سائل بعذاب ، أي عن عذاب ، أي سائل عن حنبل، وهو زوج أم صفوان بن أمية

(3) الخَرّب: المثقوب أي صاحب الأذن المشقوقة يقال أمَة خرباء وعبد أخرب.

(4) السفار: ويعي السفر والخرق المفازة البعيدة وكذلك المهمة هنا

(5) العرقوب: عصب موتر خلف الكعبين.

(6) أبو خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، حضر بدراً مع المشركين فأُسرَ فافتــداه أخواه هشام وخالد، وبعد الفداء أسلم ولحق برسول الله ﷺ بعد ذلك.

(7) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص58.

(8) هصيص : بطن من قريش، وهو هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب.

(9) الشجْع : قبيلة من كنانة.

(10) تسترق : من السرقة.

(11) العياب: جمع عيبة وهي وعاء من أدم يكون فيها المتاع والثياب ، وأيضاً هي زبيل مــن أدم ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين ، ومن جميل استعاراتها ما ورد أنه أملــى فــي كتاب الصلح بين النبي ﷺ وبين قريش بالحديبية.

وأنْتَ، ابــنَ المُغيــرَةِ، عَبــدُ شَــوْلٍ  قَدَ انْــدَبَ حَبْــلَ عاتِقِــكَ الوطَــابُ

وتختلف الصورة التي يستخدمها الشاعر عن سابقتها، لأنّه يذم المهجو بسلوكه لا بأصله وإنما لسلوكه، فهو ينكر على الوليد نسبه إلى قريش ومثل عادته لا بد أن يضع حجج لكل ما يسعى إليه من إثبات صفة المهجو.

فهو ينكر النسب على الرغم أن الرجل في حقيقته قرشي إلاّ أنه يوجه النظر نحو جسده، وكان يقول انظروا إلى رقبته، إنكم ستجدون آثار الحبال فيها والتي كان يجر بها، فهو عبد شوْلُ [1]، أي الراعي للإبل وحامل الوطاب[2]، فهكذا هو وهكذا هي صورته.

وقال يهجو الحارث بن هشام أيضاً: [3].

يَــا حَــارِ إن كُنْــتَ أمْــرأ مُتَوَسِّــعاً[4]  فَافْــدِ [5]الأُولَــى يُنْصِــفْنَ[6] آلَ جَنَــابِ
أخَــوَاتُ أُمّــكَ قَــدْ عَلِمْــتَ مكانَهــا[7]  والحَــــقُّ يَفْهَمُــــهُ ذَوُو الألْبَــــابِ
أنّ الفَرَافِصَــةَ بْــنَ الأحْــوَص[8] عِنْــدَهُ  شَــجَنٌ[9] لأمّــكَ مِــنْ بَنَــاتِ عُقَــاب
أجْمَعْتُ[10] أنّــكَ أنْــتَ ألأمُ مَــنْ مَشَــى  في فُحْــشِ مُومِسَــةٍ[11] وَزَوْكِ غُــرَابِ[12]

---

(1) الشول: هي الإبل التي جفّ لبنها إذا فصل ولدها.

(2) الوطاب: جمع وطب وهو سقاء اللبن، أي الزق الذي يوضع فيه اللبن.

(3) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت، ص59-61.

(4) متوسعاً: أي ذا غنى وثروة .

(5) وقوله: فافد من الفداء .

(6) ينصفن: أي يخدمن نصفه ينصفه نصفاً نصافه ونصافا وتنصفه كله خدمة .

(7) قوله: قد علمت مكانها، أي منزلتها.

(8) الفرافصة: بنو نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمر بن ثعلبة بن الحارث بن الحسن بن ضهم بن عدي بن جناب ، امرأة عثمان .

(9) الشجن: الهم والحزن والحاجة أينما كانت.

(10) أجمعت: أي الإجماع من الأحكام والتصميم والعزم.

(11) مومسة: امرأة مومسة فاجرة جهاراً .

(12) زَوْكِ: هي مشية الغراب وهو الخطو المتقارب في تحرك جسد الإنسان. الماشي وَزَهوْ في مشميته يزهو زوهاناً أي حرك منكبيه وأليتيه وفرج بين رجله.

وَكَـــذَاكَ وَرّثَـــكَ الأوائِـــلُ أنّهُـــمْ ذَهَبُـــوا وَصِـــرْتَ بِخِزْيَـــةٍ وَعَـــذَابِ
فَوَرِثْـــتَ وَالِـــدَكَ الخِيَانَـــةَ والخَنَـــا واللّـــؤمَ عِنْـــدَ تَقَـــايُسِ الأحْسَـــاب[1]
وَأبَانَ لُؤمُـــكَ أنّ أُمّـــكَ لـــمْ تَكُـــنْ إلاّ لِشَـــــرّ مَقَـــــارِفِ[2] الأعْـــرَابِ

هنا يأتي على ذكر خالاته، وأنهنَّ كنَّ إماء للفَرَافِصَةَ بن الأحوص الكلبي وبعد ذلك جاء على ذكر أمّه فصوّرها بأقبح الصوّر.

ويتوغل حسّان في هجائه عند وصفه إياه بالفحش وأنّ كل الصفات الشنيعة التي فيه قد ورثها من أبيه كاللؤم والنذالة والخيانة.

فنلاحظ أن الشاعر، يحاول أيضاً أن يجعل الشخص المهجو يكره نفسه وخاصة عند الطعن بأصوله فهو يستدرجه من حيث أن صفاتك لا ذنب لك بها، وإنما ورثتها من نسبك الذي تفتخر فيه، فإن أردت البغض فعليك أن تبغض ذاك النسب.

إذن نلاحظ كيف يركّز حسّان بن ثابت على صورة في الهجاء تكاد تكون لغة متكررة في كل قصائده الهجائية، ألا وهي الهجاء بالنسب (الطعن بالنسب من حيث الأصول)، وهو حين يظهر هذه الصورة في شعره يرتب عليها صوراً متعددة وكأن الأمر مبني على الوراثة.

وليت حسّاناً يكتفي بالشخص المعروف اسماً في هجائه إنما ينحى نحو انزياحٍ مفهومي آخر في وصفه للمهجو الفرد فهو يصف الشخص صاحب الخُلق الرديء فيقول [3].

أبُوكَ أبُـــوكَ، وأنْـــتَ ابْنُـــهُ فَبِئْـــسَ البُنَـــيُّ وبِـــئْسَ الأبُ
وأُمُّكَ سَـــوْدَاءُ مَـــوْدُونَةٌ[4] كَـــأنّ أنَامِـــلَهَا الحُنْظُـــبُ[5]

(1) فقوله عند تقايس: أي عند تسابق الاحساب .

(2) المقرف: في الأصل من الخيل الهجين وهو الذي أمه برذونة (والبرذون هو: نوع من الخيل غير العربي)، وأبوه عربي، أو العكس، والرجل المقرف النذل والذي دنا من الجنة .

(3) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص61.

(4) المودونة: المرأة القصيرة والصغيرة، لسان العرب.

(5) الحنظب: دابة مثل الخنفساء وقيل هي ضرب من الخنافس فيه طول

يَبيتُ أبُـــوكَ بِهَا مُعْرِســـاً[1] كَما سَـــاوَرَ[2] الـــهُوّةَ[3] الثّعْلَـــبُ
فمَا مِنكَ أعجَبُ يا ابــنَ اسْـتِها وَلكِنّنـــي مِــنْ أُولَـــى أعْجَـــبُ

ونلاحظ الطريقة التي كان يحاول حسّان بن ثابت الوصول من خلالها إلى الغاية التي يريدها بإيجاد حالة من الحقد والبغض عند المهجو، ففي الأبيات السابقة يعيب على من ضحكوا عليه أن تصرفات الشخص الذي يمتلك هذه السجايا والسلوكات نابعٌ من أصله، وبعد التعميم يخصص لكي يأتي بالدليل، وكأنّي به يقول أمّا هذا فلا أعجب مما فعل ما دامت أمه عبدةً سوداء كأنها حنظب، وإذا غشيها زوجها كأنه ألمَّ بهوةٍ.

ويزيد حسّان في الهجاء الفردي ما قاله في حكيم بن حزام: [4] ، [5]

نَجّــى حَكِيمــاً يَــوْمَ بَــدرٍ رَكْضُــهُ[6] كَنَجَاءِ[7] مُهْرٍ مِــنْ بنــاتِ الأعْــوَجِ[8]
أَلْقَــى السّــلاحَ وفَــرّ عَنْهَــا مُهْمَــلاً كالــهِبْرِزِيّ[9] يَزِلّ فَــوْقَ المِنْسَــجِ[10]

(1) قوله معرساً: من أعرس بأهله إذا غشيها وألم بها.
(2) وساور الشيء مساورة وسواراً .
(3) الهوة : الوهدة العميقة أو البئر.
(4) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص68.
(5) حكيم هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد وهو أبن أخي خديجة رضي الله عنها، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، البرقوي، 1929، المطبعة الرحمانية، مصر، ص68.
(6) قوله ركضة : يروى شدة والمراد جريه.
(7) والنجاء : السرعة .
(8) وقوله : من بنات العوج فأعوج اسم حصان كريم تنسب الخيل الكرام إليه ، يقال هذا الحصان من بنات أعوج أو أعوجي ، قال أبو عبيدة كان أعوج لكندة فأخذته بنو سليم في بعض أيامهم فصار إلى بني هلال ليس في العرب فحل أشهر ولا أكثر نسلاً منه.
(9) الهبرزي: وهو الإسوار من أساورة فارس، قال ابن سيدة أعني بالاسوار الجيد الرمي بالسهام.
(10) قيل: هو ما بين العرف وموضع اللبد.

لمّـــا رَأى بَـــدْراً تَســـيلُ جِلاَهُهَـــا[1] بِكَتَائِـــبٍ مِـــلأوْسِ[2] أوْ مِلْخَـــزْرِجِ[3]

ونجا ابنُ حمْرَاءِ العِجـــانِ[4] حُـــوَيْرِثٌ يَغْلِي الدمّاغُ[5] بِـــهِ كَغَلْـــي الزِّبْـــرِجِ[6]

فحسّان يتراوح هجاؤه بين أمرين من حيث النسب:

**الأمر الأول:** إثبات أن الصفات التي في المهجو سواء من بخل أو نذالة أو حقارة أو غيرها نابعة من النسب الذي لا يتمتع بأي صفة كريمة.

**الأمر الثاني:** إثبات أن الصفات مكتسبة وتأتي أحياناً نتيجة لسلوك الفرد، فهو لم ينكر الصفات الموروثة ولم ينكر الصفات المكتسبة من السلوك.

ثم يعود الشاعر ليهجو بالنسب والخبث فيقول[7]، في هجائه لعبد الله بن الزبعري.[8]

---

(1) قوله، تسيل جلاهها : فاجلاه جمع جلهة وجلهتا الوادي جانباه وهما بمنزلة الشطين ، يقال هما جلهتاه وعدوتاه وضفتاه وشاطئاه ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ أخر أبا ســفيان فــي الإذن وأدخل غيره من الناس قبله فقال : ما كدت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجلهتين وقيل الجلهة ما تستقبلك من عدوة الوادي .

(2) ملأوس: يعني الأوس.

(3) مِلْخَزْرِجِ : يعني، الخزرج.

(4) قوله ابن حمراء العجان: فالعجان الدبر ، وقيل ما بين القبل والدبر ، وابن حمراء العجان: أي أعجمي ، سب كان يجري على ألسنة العرب ، وورد أن أعجمياً عارض علياً رضي الله عنه ، فقال اسكت يا ابن حمراء العجان .

(5) وقوله يغلي الدماغ به : أي يغلي دماغه.

(6) الزبرج: الذهب.

(7) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص137.

(8) الزبعري: هو عبدالله بن الزبعري الشاعر، ويقال الرجل الزبعرى أي شكس الخلــق ســيئة وبه سمي هذا الشاعر.

إلى الزِّبَعْـرَى[1]، فـإنّ اللّـؤمَ حَالَفَـهُ أوِ الأخَابِـثِ[2]مِـنْ أوْلادِ عَبّـودِ[3]

ومن الذين هجاهم حسّان أيضاً سعد بن أبي السرح فقال فيه [4]:

ووالله مَـا أدْري، وإنّـي لَسَـائِلٌ: مُهانَةُ [5]، ذاتُ الخَيْفِ [6]، ألأمُ، أمْ سَـعْدُ

أعَبْدٌ هَجينٌ[7] أحمـرُ اللّـوْنِ [8]، فـاقِعٌ مُوَتَّرُ عِلْبـاءِ[9] القَفـا، قَطَـطٌ[10] جَعْـدُ

وكانَ أبـو سَـرْحٍ عَقيمـاً فلَـمْ يكُـنْ لَـهُ ولَـدٌ حتـى دُعِيـتَ لَـهُ بَعْـدُ

فالهجاء هنا أخذ طريقه التدرج بين سوء النسب لسعد بن أبي السرح فبدأ من أمه، حيث نعتها بالزنا أي أنه ابن زنا، وذلك اتضح من قوله ذات الخَيْفِ، وهي المرأة التي تجيء بأولادها مختلفين أي أمهم واحدة وآباؤهم شتى، والدليل على مقولته في هجاء سعد أن أباه كان عقيماً ولم يكن له ولد فكيف يكون سعد ابنه؟!.

والواضح في شعر حسّان الهجائي الفردي أنه إذا ذكر صفة يأتي بدليل، ممن حوله أو من نسبه، فهو يحاول أن يأخذ القارئ إلى حيز التصديق الجازم بكل ما يقوله، إضافة أنه نعته بالعبد الهجين ذلك أن بشرة سعد كانت تميل إلى الحمرة فكيف

---

(1) قوله إلى الزبعري : يقول سأصرفها إلى الزبعري وسيمر بك شـعر كثيـر لحسـان فـي عبداللهبن الزبعري هذا وسنترجم له في موضعه، ورجل زبعري شكس الخلق سـيئه وبـه سمي هذا الشاعر.

(2) الأخابيث: جمع الأخبث والخبيث: الرديء.

(3) وعبود هو: عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان عبداً أسود حطّاباً يغيـب فـي محتطبـه أسبوعاً لم ينم ثم ينصرف، ويبقى أسبوعاً نائماً، وبه ضرب المثل، وقيل نام نومة عبود.

(4) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص148-149.

(5) أمهانة: زوجة سعد اسمها مهانة وأم سعد أيضاً اسمها مهانة.

(6) ذات الخيف لفعله: من قولهم خيفت المرأة أولادها: أي جاءت بهم مختلفين أي أمهم واحـدة وآباؤهم شتى.

(7) قوله اعبد هجين: يقول أم سعد الذي هو عبد هجين، وهو العربي ابن الأمة.

(8) أحمر اللون: أي لأنه هجين والعرب تسمي غير العربي أحمر.

(9) عِلْباء، أي عصب العنق، وتوتر عصبه أي اشتد فصار مثل الوتر.

(10) القطط: شعر الزنجي يقال رجل قطط وشعر قطط، وقطط جعد: أي قصير، وجعد قطـط: أي شديد الجعودة وكل هذه أوصاف الهجين.

يكون ذلك إلاّ إذا كان عبداً أو إذاً هو عبد.

يوضح ذلك في قصيدته عندما قال له إنّه غير عربي، والعرب كانت تقول عن غير العربي الأحمر ثم ينطلق إلى بيان الدلالة في خلقته ولونه على أنه عبد هجين بقوله موتر علياء القفا قطط جعد.

وهذه الصفات لا يتمتع بها إلاّ الهجين، وليست من صفات العربي الأصيل أن يكون متوتر العروق أو يكون شعره شعر زنجيّ مقطط. وهذه كلها من أوصاف الهجين.

وقال في أبي البختري بن هاشم الأسديِّ: [1]

وَمَا طَلَعَتْ شَمسُ النهارِ ولا بَدَتْ ... عَليكَ بمَجْدٍ، يا بنَ مَقطوعةِ اليدِ

أبُوكَ لَقِيطٌ [2]، ألأمُ الناسِ مَوْضِعاً ... تَبَنّى عَلَيْكَ اللّؤمُ في كلّ مَشهَدِ

إذا الدَّهْرُ عَفَّ في تَقَادُمِ عَهدِهِ ... على عارِ قومٍ، كانَ لُؤمُكَ في غَدِ

جاء الوصف هنا لابن الأب، حيث كان لئيم الموضع، وبالتالي فإنّ صفة اللؤم عنده يشهد لها كل الناس حتّى لو عفى عليها الدهر، فإنّها لا يمكن أن تمحى ولا يمحوها الدهر.

وقد يهجو حسّان الشخص بعشيرته فَيَسُبّهُها أو فينعتها بأسوأ الصفات ومن ذلك ما هجا به عدّي بن كعب حيث قال: [3]

لَعَمْرُكَ ما تنفَكُّ عن طَلَبِ الخَنا ... بَنو زُهْرَةَ الأنْذَالُ ما عاشَ وَاحِدُ

لِئَامٌ مَسَاعِيهَا قِصارٌ جُدُودُها ... عَنِ الخَيْرِ للجَارِ الغَريبِ مَحاشِدُ

وَمَا مِنْهُمُ عِنْدَ المَكارِمِ والعُلى ... إذا حُضِرَتْ يوْماً من الدّهرِ ماجِدُ

فهو في هذه الأبيات يهجو عدياً أولاً بالخنى، وهو الفحش، ثم يهجو عشيرته بالنذالة وأنه خسيس محتقر بين الناس، ثم ينعتهم بأنهم ليسوا من أهل البيوتات، فهي عشيرة وليسوا أصحاب همٍّ عالية.

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت، ص156.

(2) اللقيط: الطفل الذي يوجد مرمياً على الطرق لا يعرف أبوه ولا أمّه.

(3) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت، ص155.

ومن هجائه الفردي أيضاً هجاؤه أبا جهل، إذ يقول: [1]

لَقَــدْ لَعَــنَ الــرّحمنُ جَمْعــاً يقــودُهُمْ دَعِــيُّ بَنــي شَــجْعٍ لِحَــرْبِ مُحمّــدِ
مَشومٌ ، لَعِينٌ[2]، كــان قِــدْماً مُبَغَّضــاً يُبَيِّنُ فِيهِ اللّــؤمَ مَــنْ كــان يَهْتَــدي[3]

وقال أيضاً لعمرو بن العاص السهمي عن ابن النابغة يهجوه: [4]

زَعَــمَ ابْــنُ نَابِغَــةَ اللّئِــيمُ بِأَنَّنَــا لا نجْعَــلُ الأحْسَــابَ دُونَ مُحَمّــدِ

وهجا المغيرة بن شعبه بقوله: [5]

لَــوَ أنّ اللّــؤمَ يُنسَــبُ كــانَ عَبْــداً قَبِــيحَ الوَجْــهِ أعْــوَرَ مِــنْ ثَقِيــفِ
تركْــتَ الــدِّينَ والإيمــانَ جَهْــلاً غَــدَاةَ لَقيــتَ صــاحِبَةَ النّصِــيفِ[6]
وَرَاجَعْــتَ الصِّــبَا، وذكــرْتَ لــهْواً مــن الأحشــاءِ، والخصْــرِ اللطيــفِ

فقد هجا المغيرة باللؤم وبين أن اللؤم لو يُجسّد لتجسَّدَ بصورةِ العبد قبيح الوجه أعور من قبيلة ثقيف.

وقال يهجو[7] عتبة بن أبي وقاص: [8]

---

(1)البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص150.

(2) مشوم: هو مشؤم فسهل ورجل مشؤم على قومه جر عليهم الشؤم والشــؤم نقــيض الــيمن واللعين الذي يلعنه كل أحد واللعين المشتوم واللعين المطرود.

(3) مشوم: هو المشؤوم ورجل مشوم أي صار شؤم عليهم والشؤم نقيض اللعين وهو المنفــي، والرجل اللعين أي الذي يلعنه كل أحد واللعين المشتوم واللعين المطرود.

(4) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص151.

(5) المرجع نفسه، ص276.

(6) النصيف: هو ثوب تتجلل به المرأة فوق ثيابها كلها وسمي نصيف لأنه نصف بين النــاس وبين لابسه يحجز أبصارهم عنها.

(7) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص291.

(8) عتبة بن أبي وقاص: هو الذي رمى النبي الأمي في غزوة أحــد فكســرت رباعيتــه ﷺ، وكلمت شفتاه وشج وجهه فجعل رسول الله ﷺ يمسح الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله عز وجل قوله (ليس لك من الأمر شــيء == == ..... ) ولما فعل عتبة ما فعل جاء حاطب بن أبي بلتعة فقال يا رسول الله من فعل هذا بك فأشار إلى عتبة فتبعه حاطب فقتله وجاء بفرسه إلى رسول الله ﷺ.

إذا اللَّـــهُ حَيّـــا مَعْشَـــراً بِفَعـــالِهِمْ وَنَصْـــرِهِمِ الـــرّحمنَ رَبَّ المشـــارِقِ[1]

فأخزَاكَ رَبّي[2]، يـا عُتَيْـبَ بـن مالـكٍ ولقّـاكَ قبـلَ المـوْتِ إحْـدى الصّـوَاعِقِ

بَسَـــطْتَ يَمينـــاً للنّبِـــيّ بِرَمْيَـــةٍ فأدْمَيْـــتَ فـــاهُ، قُطّعـــتْ بـــالبَوَارِقِ[3]

فَهَـلاّ خَشِـيتَ اللَّـهَ والمُنـزِلَ الـذي تَصِـيرُ إلَيْـهِ بعـدَ إحْـدى الصَّـفائقِ[4]

لَقَـدْ كـان خِزْيـاً فـي الحيـاةِ لقوْمـهِ وفي البَعْثِ، بعد المـوْتِ، إحـدى العوالِـقِ[5]

فالصورة التي نلاحظها للمهجو هنا هي صورة الرجل اللئيم الذي أدمى فاه الرسول فأخذ الهجاء هنا صفة الدعاء عليه بالهلاك والخزي والعار وما كان من أحد الصحابة إلاّ أن قام فقتل عتبة عندما رأى حال رسول الله ﷺ وهو حاطب بن أبي بلتعة[6].

وقال يهجو أبا جهل: [7]

سـمّاهُ مَعشَـرُهُ أبـا حَكَـمٍ واللَّـهُ سَـمّاهُ أبَـا جَهْـلِ

فمـا يجـيءُ، الـدّهْرَ، مُعتمِـراً[8] إلاّ ومِرْجَـلُ جَهلـهِ يَغْلـي

وكأنّـهُ مِمّـا يجِـيشُ بِـهِ مُبـدي الفُجـورِ وسَـورةِ الجهـلِ

يُغْـرَى بـهِ سُـفْعٌ لَعامِظَـةٌ[9] مثلُ السباع شرَعنَ[10] فـي الضَّـحْلِ

يشير الشاعر إلى قباحة الجهل التي يمتلكها هذا المهجو المسمّى عندهم أبا

---

(1) بفعالهم أي بكرمهم يريد كل من نصر النبي ﷺ.

(2) قوله فأخزاك ربي: يروى فأهلك ربي، أي أهلكك فادغم.

(3) البوارق: هي السيوف أي قطعت يداه.

(4) الصفائق: صوارف الخطوب وحوادثها الواحدة ضعيفة وقيل الصفائق المذاهب.

(5) العوالق: ما علق من الشر.

(6)البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص291.

(7) المرجع نفسه، ص344.

(8) معتمراً : من العمره.

(9) لعامظة: جمع لعموظ وهو الحريص الشهوان، واللعموظ أيضاً الذي يخدم بطعام بطنه مثل عضروط.

(10) شرعن: بدأن في الشرب من الماء.

الحكم.

وإن دل هذا الشعر على شيء، فإنما يدل على الدور الذي لعبه شعر حسّان بن ثابت في الدعوى إلى الله تعالى وكيف حدث في مثل هذا النوع من الشعر انزياحات مفهومية كثيرة.

فالباحث يلاحظ أن في بداية الهجاء كانت الصبغة التي اصطبغت بها صورة الهجاء الفردي صفة الانفتاح وتعدد الغايات عند الشاعر وبالتالي لا يتوانى بأي لفظ يستشهد سواء فيه قذف، أو ذم، أو تحقير، أو طعن بالأعراض والأنساب، ولكن مع هذه المقتطفات الأخيرة لبعض أبيات حسّان لاحظنا تغير نبرة الصوت وأدبيات الهجاء كانت بارزة في شعره من حيث المحافظة على عدم الخروج عن حيز الدعوة والدفاع عن الإسلام والمسلمين.

## 3.2 أثر المهجو الفرد في تكوين الشخصية الشعرية عند حسّان ابن ثابت رضي الله عنه.

لقد مثلت صورة المهجو الفرد في شعر حسّان بن ثابت لوحة فنية في غاية الجمال والروعة في التصوير والأداء.

فمن صورة الوقيعة في الأعراض والأنساب إلى صور التجسيد الكاملة للهيئة والشكل.

ولقد كان لمثل هذا النوع من الشعر الأثر البالغ في شخصية حسّان بن ثابت الشعرية.

فقد تمثّلت في شعره رمزية من رمزيات الشعر العربي حيث تجلّت الصورة السمعية المفردة في الهجاء الشخصي، وهي تمثل مجموعة من الصور تتسق في تسلسل لتكوين الصورة المركبة التي تفضي إلى معرفة الصورة الكلية، وقد تكون الصورة برمتها حسية أو معنوية تلخص بمفردة، بيد أن للصورة المفردة البسيطة قدرة على انتزاع الأعجب، وإثارة الدهشة، حيث يمزج الشاعر الحسية بالمعنوية أو

بالعكس[1]، وهذا ما لاحظناه في شعر حسّان بن ثابت عندما كان ينعت شخصاً بصفة معينة لربما تكون معنوية، ولكنه يمازج بينها وبين صفات جسدية أخرى تكون بمثابة حجة على صدق ما جاء به.

فكان حسّان في شعره ينسج الصورة المفردة عن طريق تبادل المدركات الحسية والمعنوية، ويتم تشكيل هذه الصورة من خلال خلع صفات الحسية على المعنوية أو بالعكس بوسائل متعددة منها:

تحويل المعنويات المجردة إلى حسيات تنسجم مع الحواس وذلك مثل قوله: [2]

وأنْتَ، ابنَ المُغيــرَةِ[3]، عَبــدُ شَــوْلٍ[4] قَدَ انْدَبَ[5] حَبْلَ عاتِقِــكَ الوطَــابُ[6]

وقد لاحظت الدراسة أموراً على هجاء الفرد في شعر حسّان بن ثابت منها:

**أولاً:** إيقاع الصورة السمعية المفردة عبر الوصف:

وذلك بنسج الصورة المفردة عن طريق تبادل المدركات كالتجسيم، فإيضاح المعنى والإبانة عنه بصورة فنية، يعود إلى قدرة الشاعر الإبداعية في تشكيل صورة بعيدة عن النسق المألوف، وبغية تحقق ذلك يلجأ الشاعر إلى التجسيم.

**ثانياً** : إن الصورة الهجائية التي أتى بها حسّان وأناطها بالمهجو أدت إلى إيجاد تمسك واضح في شعر حسّان يمدح عشيرته من حيث النسب والأخلاق فتكوّن لديه صورة المرأة الحرة التي تمثل رمزاً من رموز الطهارة المشرفة والصورة المغايره التي تمثّل في رمزية المرأة بالشكل القبيح [7].

وصورة الرجل الشجاع من قبيلته يقابلها الصورة الجبانة لمن سواهم وهكذا.

---

(1) إبراهيم، (2000)، الصورة الشعرية في الشعر العربي قبل الإسلام، ط1، ج1، ص256.

(2)ابن ثابت، حسّان، (1974)، الديوان الشعري، د.ط، ص59.

(3) قوله ابن المغيرة منادى محذوف حرف النداء .

(4) عبد شول: يريد راعي إبل ، والشول جمع شائلة على غير قياس ، والشائلة من الإبل مــا أتى عليها من حملها أو وضعبها سبعة أشهر فجف لبنها ، وقيل التي نقصت ألبانها وذلك إذا فصل ولدها فلا تزال شائلة حتى يرسل فيها الفحل.

(5) أندب: أي تركت الوطاب حبل عاتفك وفيه ندوب أي أثر جروح.

(6) الوطاب: جمع وطب وهو سقاء اللبن أي الزق الذي يكون فيه اللبن.

(7) اسليم، (1998)، الانتماء في الشعر الجاهلي، ط1، ص100.

فصورة المهجو في شعر حسّان أدت إلى إعطائه صورة معاكسة للممدوح عنده، فبقدر ما كانت صورة الهجاء قوية ومعبرة، بقدر ما كانت صورة المديح أكثر وضوحاً وتعبيراً وجمالاً، وهكذا في باقي شعره بما يخص المهجو.

**ثالثاً:** إن شعر الهجاء الفردي عند حسّان كان سبباً في مدح شخصيته الشعرية.

فلما قال حسّان بن ثابت للحارث بن عوف المري وهو مشرك [1]:

وَأَمَانَـــةُ المـــرِّيِّ، حَيْـــثُ لَقِيتَـــهُ مِثْلُ الزُّجاجَةِ [2] صَدْعُها لـــمْ يُجْبَـــر [3]

قال الحارث للنبي ﷺ: يا محمد أجرني من شعر حسّان فوالله لو مزج به البحر لمزجه [4]

**رابعاً:** إن من أهم المؤثرات التي وقعت على شخصية حسّان بن ثابت في شعره الهجائي الفردي، أنه أصبح مُهيب الجانب بين الشعراء، أما الذي يريد أن يهجو حسّاناً أو عشيرته أو الإسلام والمسلمين فإنه سيوقع أمره في مهلكة قريبة.

وكان عبد الملك بن مروان يقول لأبنائه عند وفاته، أوصيكم بحسن جوار الشعراء فإن للشعر مواسم لا تزداد على اختلاف الجديدين إلاّ حِدة. [5]

**خامساً:** نلاحظ على شعر حسّان بن ثابت في مرحلة ما قبل الإسلام وفي مرحلة الإسلام، وجود انزياحات لفظية ومعنوية في ألفاظ شعره.

فمن الهجاء الصريح إلى الهجاء المحتمل ذي الدلالات المختلف فيها ومن الهجاء التجسيمي إلى الهجاء الهادئ المدافع عن الإسلام والذي يجعل شعره سبيلاً من سبل الجهاد في سبيل الله، ولكن مرحلة الإسلام لم تخرج حسّان عن صورة الشعرية إنما اعتمد أيضاً على الأنساب والقبيلة وحماية الجار وذم الجنب والعورات والمثالب.

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص211.

(2) الزجاجة بضم الزاي وان شئت كسرتها وان شئت فتحتها واحدة الزجاج وهو القوارير وصدع الزجاجه أن يبين بعضها من بعض .

(3) الجبر، خلاف الكسر.

(4) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ج1، ص186.

(5) ابن حمدون، (د،ت)، التذكرة، الحمرونية، ج2، ص66.

ولكون حسّان بن ثابت كان مجيداً للشعر الهجائي الشخصي فقد مثّل شاعر المسلمين المختص بالأنساب والأحساب، وقد وقع على هجائه الشخصي طابع الأسلوب القرآني. [1]

**ملاحظات الباحث على ما سبق:**

ونخلص مما سبق إلى ما يلي:

**أولاً:** إن معظم صور المهجو التي جاء بها حسّان بن ثابت تدور في حيز الأنساب والأصول، فقد غلب على معظم هجائه صفة القدح بالنسب والأصل وإعادته إلى العبيد والجواري، وذلك من أجل التقليل من شأن المهجو وهذه الصورة لم يستخدمها في ظروف القتال والحرب، وإنما كان استخدامها في الرد على من يهجوه، أو في الرد على الذي يهجو قبيلته وعشيرته أو الذي يهجو سيدنا محمد ﷺ.

**ثانياً:** الصورة الثانية الغالبة في هجائه هي صورة الجبن واللؤم والهرب وهذه الصورة كان يعبر فيها عن المحاربين له وفي ظروف القتال فكان ينعتهم بالجبن والضعف والدناءة.

وكان في كل صورة يذكرها يحاول أنْ يدمجها بصورة أخرى، فإن كان الوصف معنوياً، دمجه في وصف مادي حِسِّي وإن كان جسدي دمجه في وصف معنوي.

**ثالثاً:** التأثر بالأسلوب الدعوي في نهاية شعره الفردي وبعد دخوله في الإسلام، حيث غلب على شعره طابع المدافع الذي يذود عن الإسلام والمسلمين.

**رابعاً:** المفاهيم اللفظية التي ظهرت في هجاء حسّان بن ثابت فكانت تمثل ريشة فنان في رسم لوحة جميلة من التعبير والوصف المسموع والذي يتحول أثناء سماعه إلى مرئي في الخيال.

**خامساً:** والشيء الملاحظ في المهجو عند حسّان بن ثابت أنه ليس من عامة الناس، فنلاحظ اختيار حسّان لشخصية المهجو لوجدنا أنهم من عِلية القوم

---

(1) الدهان،محمد سامي فنون الأدب العربي ( الهجاء)، ص71.

وسادتهم وشعرائهم.

فقد هجا الحارث بن هشام وأبا جهل، والوليد بن المغيرة وحكيم بن حزام، وسعد بن أبي السرح، والمغيرة بن شعبة، وعتبة بن أبي وقاص، وأبا سفيان وغيرهم من زعماء العرب وكبرائهم.

## الفصل الثالث

## صورة القبلية في شعر حسّان بن ثابت الهجائي

إنّ الشعراء في عهد الإسلام اتخذوا اتجاهين في أغراضهم الشعريّة، بحيث مثّل الاتجاه الأول تحوّلاً في الموضوعات والمعاني عن المسار الذي كان عليه الشعر في عصر ما قبل الإسلام، إذ تطبّع شعراؤه بما خطّه الإسلام من خُلقٍ ديني، وقيم جديدة فتأثّر شعرهم تبعاً لذلك، فعفّ لسانهم عن الكثير من أغراض الجاهليين، ومعانيهم التي تسلك سبيل الغواية، وتنأى عن الهدى والرشاد، فتخلوا عن الفخر القائم على العصبيَّة القبليَّة الداعي إليها ، والغزل المفحش الصريح، والهجاء الذي ينال الأعراض ويهتك الحرمات ، فلم يجر لسانهم به إلاّ في هجاء المشركين من قريش وغيرهم قبل الفتح، حيث كان دافعه حماية الدين والذود عن رسول الله ﷺ، كما ترفعوا عن وصف الخمر وما يتصل بمجالسها من قيان وندمان لا ما جاء عن موروث في البناء الشعري للقصيدة ، وتجنبوا المديح الذي ينشأ لغرض العطاء أو العصبيّة القبليّة ، واتجهوا إلى مدح الرسول وأنصاره وصحابته المكرمين.

ونهضت على أشعارهم معانٍ جديدة مثل تأييد دعوة الإسلام والحض على الجهاد، والحثّ على صالح الأعمال ، والمواعظ الحسنة ، ورثاء من استشهد من المؤمنين في غزوات النبي وسراياه ، ورثاء رسول الله ﷺ، ومن مات أو قتل من خلفائه الراشدين. [1]

والتطوّر في هذا الاتجاه واضح في شعر الهجاء، فقد سخّر أصحاب هذا الغرض الهجاء لخدمة الدين، وكان الموجِّه له هو رسول الله ﷺ نفسه، ومن ذلك فقد وجّه حسان بن ثابت نحو الرد على شعراء قريش، فشارك حسان في الهجاء كعب ابن مالك وعبدالله بن رواحة، حيث كانا يهجوان قريشاً بالمثالب والأيام والوقائع، فمعاني الهجاء في هذا الاتجاه قد دارت حول نوعين: نوعٍ يعدّ امتداداً لما كان عليه الهجاء في الجاهلية من الطعن بالمثالب والمعايب، ولكن في شيء من التحرّج

(1) علي، محمد عثمان، (1984)، في أدب الإسلام عصر النبوة والراشدين وبني أميّة، دار الأوزاعي، ط1، بيروت ، لبنان، ص128-129.

والتأدّب.[1]

وبالرغم من أنّ الشعراء في هذا النوع من الهجاء كانوا لا يميلون إلى الإقذاع والفُحش، فإنّ حمية الهجاء قد تنسي بعضهم نفسه، فيقذع ويفحُش أحياناً مثل حسان ابن ثابت في قصيدته الميمية التي قالها في الحارث بن هشام.

أما الاتجاه الثاني فقد سار أصحابه بالشعر على نحو ما كانوا عليه في الجاهلية، فمضوا يقدمونه في أغراضه الموروثة ومعانيه المعهودة، فكانوا يقولون الهجاء المقذع هجائه، حتى استحقوا عقاب الخلفاء مثل الحطيئة في هجاءه الزبرقان بن بدر. [2]

وتحاول الدراسة في هذا الفصل التعرّض للشاعر حسان بن ثابت، والذي يعدّ من أصحاب الاتجاه الأول من حيث أثر الإسلام في شعره الهجائي، وأهم المعاني التي جاءت في شعره للهجاء وما أصابها من تحوّل ظهر من خلال قصائده التي جُمعت في ديوانه.

### 1.3 صورة القبيلة في شعر حسّان بن ثابت

إنّ المطّلع على أشعار حسّان بن ثابت في الجاهلية يجد أن هناك بعدين أساسيين في شخصية حسّان القبلية.

أولهما: أنه لسان حال الخزرج المناقض لشعراء منافسيها وأعدائها من القبائل الأخرى، وهذا البعد في شعره القبلي نستطيع أن نلمحه من خلال المناقضات الشعرية بين حسّان وغيره من الشعراء أمثال قيس بن الخطيم. [3]

والبعد الثاني: هو إبراز شخصيته المعتدة بنفسها المفاخرة بأمجاد ذويها، والتي تحاول أن تتفوق بمفرداتها وخصالها على الخصوم والمنافسين.

فنجد أن القبيلة عند الشاعر حسّان بن ثابت تشكّل الكيان السياسي والاجتماعي في آن واحد.

---

(1) علي ، في أدب الإسلام عصر النبوة والراشدين وبني أميّة، ص133.

(2) المرجع نفسه

(3) حسنين، حسّان بن ثابت، ص45.

لذا نجده في شعره يتغنّى بالقبيلة ويصوّرها في أجمل الصور، وذلك بمدح أفرادها ونعتهم بالشجاعة والإقدام والنسب العريق، وفي نفس الوقت نجده يذم أعداء قبيلته ويهجوهم، قائلاً: [1]

كُنتُـــم عَبيـــداً لَنا نُخَـوِّلُكُم[2] مَن جاءَنا وَالعَبيدُ تُضــطَعَفُ[3]
كَيــفَ تَعــاطَونَ مَجــدَنا سَــفَهاً وَأَنتُمُ دِعـــوَةٌ لَهــا وَكَــفُ[4]
شانَـــكُمُ جَـــــدُّكُم وَأَكرَمَنــا جَدٌّ لَنـــا في الفَعالِ يَنتَصِــفُ
تَجعَلُ مَن كــانَ المَجــدُ مَحتِــدَهُ كَأَعبُـــدِ الأَوسِ كُلَّما وُصِــفوا
هلاّ غَضِبتُـــم لأِعبـــدٍ قُتِلــوا يَـــومَ بُعاثٍ أَظَلَّهُم ظَلَــفُ[5]
وَكَم قَتَلنا مِن رائـــــسٍ[6] لَكُــمُ في فَيلَــقٍ يُجتَــدى لَــهُ التَلَــفُ

وحينما تتداخل شخصية حسّان في شخصية قبيلته وتصبح الأصداء المتجاوبة، والألحان ذات المقاطع المتآلفة تتردد في كل منهما شخصية واحدة يبلغ حسّان القمة في تصوير مكارم نفسه وتصوير أمجاد قبيلته معاً[7]، حيث يقول: [8]

أَلَســتُ بِــنِعمَ الجــارُ يُؤلِــفُ بَيتَــهُ كَــذي العُــرفِ ذا مــالٍ كَثيــرٍ وَمُعــدَما
وَنَــدمانِ صِــدقٍ تَمطُــرُ الخَيــرَ كَفُّــهُ إِذا راحَ فَيّــاضَ العَشِــيّاتِ[9] خِضــرِما
وَصَــلتُ بِــهِ رُكنــي وَوافَــقَ شــيمَتي وَلَــم أَكُ عِضّــاً فــي النَــدامى مُلَوَّمــا
وَأَبقــى لَنــا مَــرُّ الحُــروبِ وَرُزؤُهــا سُــيوفاً وَأَدراعــاً وَجَمعــاً عَرَمرَمــا[10]

---

(1)البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت، ص284-285.

(2) الخول : أتباع الرجل مأخوذ من التخويل والتمليك ، وقيل من الرعاية.

(3) تُضْطَعَفُ: من الضعف.

(4) الوكف: العيب والنقص

(5) الظلف: الشدة من ظلف الأرض وهو الحَزْنُ الغليظ.

(6) الرائس، الرئيس .

(7) الطباع: شاعر النبي ﷺ، حسّان، ص58.

(8) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت، ص368.

(9) فياض العشيات: الجواد. الخضرم: البحر الكثير الماء ويقصد الكريم الكثير العطاء.

(10) العرمرم: الكثير.

إذا اِغبَـــرَّ آفـــاقُ السَـــماءِ وَأَمحَلَـــت[1] كَـــأَنَّ عَلَيهـــا ثَـــوبَ عَصـــبٍ مُسَـــهَّما
حَسِـبتَ قُـدورَ الصـادِ حَـولَ بُيوتِنـا قَنابِـــلَ دُهمـــاً فـــي المَحَلَّـــةِ صُـــيَّما
يَظَـــلُّ لَـــدَيها الواغِلِـــونَ[2] كَأَنَّمـــا يُوافـــونَ بَحـــراً مِـــن سُـــمَيحَةَ[3] مُفعَمـــا[4]

وقد حاول حسّان في شعره أن يثبت مجموعة من الصفات لقومه فهـو يـرى قبيلته كراماً يطعمون في الشتاء حين يعزّ الطعام ويكثر احتياج النـاس، ويقـدمون المعونة تحت أي ظرف فهم كرماء " على العلاّت " لا يتريثون في العطـاء مهمـا قست عليهم الحياة، وقل ما بأيديهم من غوث، وهم شجعان بعـد ذلـك، فأرمـاحهم مشرئبة مشتاقة إلى الدماء، والجبار له أبطالهم شديدو القوى ماضو العـز، حديـدو الفؤاد، قادرون على القراع، مدربون على الصراع. أما قوادهم فهم المتقدمون فـي ميادين القتال حين تجبن أفئدة الشجعان ويهرب قواد الجيوش رعباً وخشية. وهم بعد هذا كله أهل حلم وأصحاب حكمة، وأن حكمة كهالهم وحلم شبابهم إذا وزنا بجبـال رضوى لفاقاها ثقلاً ورسوخاً [5].

فحسّان كان يستمد صوره الشعرية من قبيلته ومن ماضيها المجيد في الجاهلية، وكان يصدر في شعره عن إيمان قوي للشاعر بهذا الماضي وهذه الأمجاد، ثم بعـد ذلك له قدرة فائقة في التعبير عن كل هذا في سلاسة ويسر، وبساطة وتلقائية.

ويستطيع الباحث أن يقول إنّ حسّان استطاع أن يدفع عن قبيلتـه مفـاخراتهم واستطاع أن يحتل مركز الشاعر القبلي الذي يعبّر عـن عصـبية القبيلـة ويشـيد بأمجادها ويعلن انتصاراتها، ويرفع من شأو رجالاتها ويرد على أعدائها، ويصـمد لمناقضيها ويقاوم منافسيها أكثر من نصف عمره زمناً، وعمره كله فناً.

ففي الأمر فنية لشعر حسّان، حيث يرسم المُثل العُليا للشخصية الجاهلية كمـا يتوهم أنه يمثّلها جميعاً، فمنزله مهبط الفقير والغني، كلاهما ينعم بضيافته وكلاهمـا

---

(1) أمحلت: أمحل الناس: إذا نزل بهم القحط. الثوب العصب: ثياب يمنية موشاة.

(2) الواغل: الذي يدخل على القوم ويأكل ويشرب ولم يدعَ.

(3) سميحة: بئر بالمدينة معروفة بغزارة مائها.

(4) مفعما: الكثير الممتلئ.

(5) الطباع، حسّان بن ثابت، ص64.

يجد عنده الأمن والقرى، وهو من خيرة الندماء إذا نادم الجواد الذي تمطـــر كفـــه الخير، ثم هو أو قومه – فهما شيء واحد – أبطال المعارك، ثم هم كرماء وهم أبناء البيوتات العريقة المجد وهم.. وهم.. وهم... الخ، وهو عندما يعدد تلـــك الصـــفات جميعاً يرسمها بصورها الجاهلية التي تصبغها ألوان الصحراء، وتمـــدها بموادهـــا وعناصرها [1]

## 2.3 أسباب الشعر الهجائي عند حسان بن ثابت

لقد حاولت الدراسة أن تجمع الأبيات الشعرية التي تخص هجاء القبائل، وقام الباحث في هذا الفصل بذكر القبيلة والتعريف بها، ثم ذكر الأبيات الشعرية التي تظهر فيها صور الهجاء الخاصة بها. وقد بدأ الباحث بجمع ذلك بحسب ذكره في الديوان الشعري وترتيبه في الورود، ولم يعتمد التسلسل التاريخي للقصيدة.

ومن القبائل التي هجاها حسّان بن ثابت، قبيلة مذحِج. [2]

حيث قال [3]:

بَنـــى اللُـــؤمُ بَيتـــاً عَلـــى مَـــذحِجٍ فَكـــانَ عَلـــى مَـــذحِجٍ تُرتَبـــا[4]

ولَـــو جَمَعَـــت مـــا حَـــوَت مَـــذحِجٌ مِـــنَ المَجَـــدِ مـــا أَثقَـــلَ الأَرنَبـــا

نلاحظ في هذين البيتين أن الصورة التي أرادها حسّان لقبيلة مذحِج هي صورة القبيلة التي لا تمتلك مجداً ولا أصالة فهو يهجوها باللؤم تارةً وبتفاهة ما تمتلكه من المجد.

يتضح أن الشاعر لم ينكر على قبيلة مذحج الجد مطلقاً، ولكن الشاعر أراد أن يحد من قيمة العشيرة لا من حيث الأصل والنسب، وإنّما من حيث الصفات، أما عدم إنكاره لصفة المجد فتظهر في قوله (ما أثقل الأرنبا) أي أنّهم يمتلكون من المجد ولكن هذا الذي يمتلكونه خسيس، بحيث لا يثقل الأرنب وكـــأنه في شعره الهجائي

---

(1) حسنين، حسّان بن ثابت، ص62.

(2) وهي مذحِج قبيلة من اليمن تعود إلى مذحج بن يحابر بن مالك بن يزيد ابن كهلان بن سبأ.

(3) البرقوقي، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، ص55.

(4) ترتبا: فالترتب الشيء المقيم الثابت.

هذا يحاول المقارنة بينه والذي تمثّلت القبيلة به وبين مذحج.

ونخلص إلى أن صورة الهجاء هنا اتخذت هجاء الصفات (كاللؤم وقلة المجد والشهرة).

وقال يهجو قبيلة هُذيل[1]:

فـــلا وَاللَّـــهِ مـــا تَـــدري هُـــذَيلٌ أَمَحـــضٌ مـــاءُ زَمـــزَمَ أَم مَشـــوبُ[2]

وَمـــا لَهُـــم إِذا اِعتَمَـــروا وَحَجّـــوا مِـــنَ الحَجَـــرَينِ [3]وَالمَســـعى نَصـــيبُ

وَلَكِـــنَّ الرَجيـــعَ [4] لَهُـــم مَحَـــلٌّ بِـــهِ اللُـــؤمُ المُبَـــيَّنُ وَالعُيـــوبُ

هُـــمُ غَـــرّوا بِـــذِمَّتِهِم خُبَينـــاً فَبِـــئسَ العَهـــدُ عَهـــدُهُمُ الكَـــذوبُ

لم يجد الشاعر في هجاء قبيلة هُذيل إلا تعليقه على زيارتهم وعمرتهم، من حيث عدم فهمهم في أداء المناسك ولؤمهم، بحيث أنّهم لا يستطيعون التمييز بين ماء زمزم الصافي، والماء المشوب المختلط.

وعندما لم تظهر الصورة الهجائية، أو بالأحرى لم تشفِ غليل الشاعر أعاد ليهجو ديارهم مقارنة بما هم فيه الآن، وهذا واضح في قوله: (ولكنّ الرّجيع لهم محلٌّ) أي أنّهم سيعودون إلى مائهم.

ولم يكتفِ الشاعر بذلك بل كان لا بد أن يظهر سبب تعليقه على عمرتهم وهي عبادة وكيف يؤدون المناسك، حيث ذكر أن هذه القبيلة لا تحفظ العهد، ولا يؤمن جانبها، ودائما عهدهم ينتهي بالكذب.

ونخلص إلى أن الشاعر لم يقترب في هجائه من أصل القبيلة وحسبها، وإنّما قد ركّز هجاءه على صفاتها (كالكذب، واللؤم، وخيانة العهد، وسوء المسكن).

---

(1) البرقوقي، ديوان حسّان بن ثابت، ص56– 57.

(2) المشوب: هو المخلوط ، تقول شبت الشيء بالشيء إذا خالطته به.

(3) الحجرين: أي الحجر الأسود والحجر الذي فيه مقام ابراهيم، وفي رواية أخرى أن الحجرين هما حجر الكعبة المشرفة والمسعى بين الصفا والمروة.

(4) الرجيع: اسم ماء لقبيلة هُذيل.

ومن القبائل التي هجاها الشاعر حسّان، قبيلة مُزَينَةُ [1]، ذلك أن سبب الهجاء يعود إلى أن هذه القبيلة في حرب الأنصار كانت مع الأوس، ولذا كان لا بد لحسّان أن يعطيها نصيبها من الهجاء، والذي يمثّل هنا سلاحاً فتاكاً في خصمه، إذ يقول [2]:

مُزَينَـــةُ لا يُـــرى فيهـــا خَطيـــبُ وَلا فَلـــجٌ [3] يُطـــافُ بِـــهِ خَصـــيبُ
وَلا مَـــن يَمْـــلأُ الشـــيزى [4] وَيَحمـــي إِذا مـــا الكَلـــبُ أَجحَـــرَهُ الضَـــريبُ[5]
رِجـــالٌ تَهلِـــكُ الحَسَـــناتُ فـــيهِم يَـــرَونَ التَـــيسَ كَـــالفَرَسِ النَجيـــبُ

وأراد الشاعر أن يظهر وفي هجائه أولاً فقدان العشيرة للبيان واللسان وهذا راجع إلى عيب في رجالها، فليس منهم خطيب، ولا متكلم فهي قبيلة لا لسان لها ولعلّ الشاعر لا يكتفِ بذكر هذه الصفة عندما يأتي بحجة، فانظر كيف استنتج هذه الصفة.

فكان يقول إنَّ صمتهم، وعدم وجود لسان بيان لهم راجع إلى ذاك الجبن الذي هم فيه، فليس هناك شجاعة ولا انتصارات لهم حتى يتكلموا عنها أو يجوبوا بها الآفاق، وينتشر لهم صيت ويجرى عليهم.

فالصورة الفنية للمهجو واضحة هنا، استطاع أن يصوّرها حسّان بدراما شعرية جميلة في الأبيات السابقة، فهو مزج بين الصفة التي هم عليها وبين سبب امتثالهم للسكون والخنوع، بصورة حيّة يستطيع أن يتخيّلها المرء بسهولة ويسر.

ثم لم يكتفِ حسّان بذلك بل انتقل إلى صفات أخرى، قد تجذّرت في هذه القبيلة ومنها (البخل)، وما أروع الصورة التي نقلها الشاعر لهذه الصفة، فقد مثّل لها

---

(1) مُزَينَةُ قبيلة من مضر، وتعود في اسمها إلى مُزَينَةُ بن أد بن طانجة بين الياس بن مضـــر، وقيل أيضاً أنها قبيلة من مضر تعود في أصلها إلى مُزَينَةُ بنت كلب بن وبـــرة، وهـــي أم عثمان، وأوس بن عمرو بن أد بن صانجة.

(2) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص57.

(3) الفلج: يريد الظفر والفوز، أي ليس فيهم كذلك شجاعة حتى ينتصروا على أعدائهم انتصاراً يطاف به في الآفاق وينتشر لهم به صيت، ويجدى عليهم، ولعل فلجا هذه موضع مزينة، أي ليس بلدها مما يطاف به وليس بمخصب.

(4) الشيزى: هو شجر كانت تُعمل منع القطاع والجفان، وقيل هو شجر الجوز.

(5) الضريب: الجليد والصقيع الذي يقع بالأرض فيضرب النبات حتى ييبس.

تعبيرات مبتذلة لا يمكن لأي شخص أن ينفي صفة البخل عمّن يفعل ذلك أو فيه ذلك:

**الصورة الأولى:** صورة الضيف الذي يأتي إلى قوم وقد أرهقه الجوع والعطش، ولكن لا يجد من يقوم بسقايته، أو إطعامه من القوم الذين حلّ عليهم لبخلهم رغم امتلاكهم للطعام والشراب.

**الصورة الثانية:** هي حالة الناس المحتاجة، فقد لاحظنا هذه الصورة والتي أشار إليها حسانٌ بقوله (ويحمي)، لما وجدت قبيلة مُزَينَةُ تحرك ساكناً لحماية الناس من الموت جوعاً.

ونقف بعد هذا مع طبيعة الشعر الهجائي عند حسّان فيما سبق حيث نلاحظ أن حسّان كان لا يذكر صفة هجائية للقبيلة إلا ويضع لها مستنداً شعرياً، سواء بالتمثيل أو التذكير بالماضي الذي يشهد على هذه الصفة، فهو يوجّه الهجاء للقبيلة نفسها لكي تطّلع عليه، ويوجّهه أيضاً للآخرين لكي يعرفوا خسّة القبيلة التي يهجوها، ويحاول أن يثبت للمتلقي أنه لا يهجو القبيلة بقدر ما يظهر ما فيها من عيوب، أي أن واقعها هكذا وكأنه يقول: أنا لا أهجوهم ولكنهم هكذا.

يعتمد حسّان بن ثابت في هجائه القبلي مرحلة من التمثّل في القبيلة، أي أنّه هو القبيلة من شدّة دفاعه ومدحه لها، وكأنه يمدح نفسه، فكان عندما يريد هجاء قبيلة أخرى يحاول أن يظهر أنّ ما في هذه القبيلة لا ترضاه قبيلتي، فهكذا كان لسان حاله دائماً.

ومن القبائل التي هجاها حسّان قبيلة بني أسد[1] وقد حاول أن يهجوها حسّان من خلال تصوير موقف قتالي، لإظهار بعض الصفات التي لا يمكن أن تظهر إلا من خلال ساحة المعركة. إذ قال: [2]

خابَـــت بَنـــو أَسَـــدٍ وَآبَ عزِيـــزُهُمْ  يَـــومَ القَليـــبِ [3]بِسَـــوْءَةٍ وَفُضـــوحِ

(1) أسد: قبيلة انتسبت إلى ابن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر.

(2) البرقوقي، شرح ديوان حسّان بن ثابت ، ص77.

(3) يوم القليب: وهو اليوم الذي قذفوا فيه بالقليب وهو يوم بدر.

مِنهُم أَبــو العاصــي [1] تَجَــدَّلَ مُقعصــاً [2] عَــن ظَهــرِ صــادِقَةِ النَجــاءِ سَــبوحِ
وَالمَــرءَ زَمعَــةَ [3] قَــد تَــرَكنَ وَنَحــرُهُ يَــدمى بِعانِــدِ مُعــبَطٍ[4] مَســفوحِ
وَنَجــا اِبــنُ قَــيسٍ فــي بَقِيَّــةِ يَومِــهِ قَــدْ عُــرَّ مَــارِنُ أَنْفِــهِ بِقُيُــوحِ [5]

يبدأ حسّان بن ثابت الهجاء بنتيجة حربهم مع المسلمين، بأنهم خابوا وخسروا وقد صوّر النتيجة بالفضيحة وسوء المنقلب.

ثم عاد بعد ذلك إلى بداية المعركة وهي المنازلة، وبدأها بأبي العاص عندما قُتل بشكل سريع في مكانه، وهذا يدل على شجاعة من قتله وجبن ابن العاص، الذي يعدّ من أشجع بني أسد، فقد تم قتله رغم أنه كان على ظهر فرس صادقة النجَّاءِ سبوح.

وهذه الصورة تبين الواقعة والدراما الأولى التي تظهر فيها السرعة في القتل، وكأنَّ الطرف الآخر لا يقاتل، ولا يمكن أن ينازل، فهذا قمة الهجاء للمحاربين في المعركة.

وبعدها يأتي بصورة عكس الأولى وهي الموت البطيء لهم ممثلاً بذلك على (زمعة) وهو زمعة بن الأسود، والذي قُتل بطعنة قد سال دمها بعيداً عن مكان طعنها، والدم بدأ يسيل ببطء وقومه ينظرون إليه لا حول لهم ولا قوة.

ثم يأتي بالصورة الثالثة وهي هروب ابن قيس بعد أن أصيب أنفه فولّى هارباً، فوصفهم الشاعر بالجبناء، حيث الهرب والخوف من ساحة المعركة.

وهنا حاول حسّان أن يصوّر مشهد المنازلة كاملاً، وكأنه حسم المعركة في المنازلة فقط وهذا فيه نوع من الهجاء، وأراد الشاعر أن يبيّن لهم أنّه وقومه يعلمون

---

(1) أبو العاصي: هو ابن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم، حيث قتله علي بن أبي طالب في بدر.

(2) المقعص: من القعص وهو القتل المعجل، نقول ضربه فأقعصه أي قتله مكانه.

(3) زمعة: وهو زمعة بن الأسود من أعيان قريش، حيث قتل يوم بدر.

(4) بِعانِدِ مُعبَطٍ: يقال عند الدم يعند إذا سال في جانب وعندت الطعنة تعند إذا سال دمها بعيداً من صاحبها والمعبط يراد به الدم العبيط أي الطري.

(5) قوله عر مارن أنفه بقيوح يقول أصيب بذلك.

نتيجة المعركة من المنازلة. فقد ظهر الجبن والخوف من مقاتليهم، فتمثّلت صورة المهجو القبيلة هنا بصورة القبيلة التي لا تمتلك الجرأة ولا الشجاعة، ولا الرجال الأقوياء المحاربين فخافوا المنازلة.

ومن القبائل التي هجاها حسّان قبيلة بني عابد بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، حيث وجّه الهجاء للقبيلة، ولعابد بن عبدالله، فهو هجاء جمع ما بين القبيلة والفرد.

إذ قال: [1]

فإنْ تَصلُحْ فَإنّكَ عابِدِيٌّ ... وَصُلْحُ [2] العابِدِيِّ إلى فَسادِ
وَإن تَفسُد فَما أُلفيتَ إلاّ ... بَعيداً ما عَلِمتُ مِنَ السَدادِ
وَتَلقاهُ عَلى ما كانَ فيهِ ... مِنَ الهَفَواتِ أَو نوكٍ[3] الفُؤادِ
مُبينَ الغَيِّ[4] لا يَعيا عَلَيهِ ... وَيَعيا بَعدُ عَن سُبُلِ الرَشادِ
على مَا قَامَ يَشتُمُني لَئيمٌ ... كَخِنزيرٍ تَمَرَّغَ في رَمادِ
فَلَن أَنفَكَّ أَهجو عابِدِيّاً ... طَوالَ الدَهرِ ما نادى المُنادي
وَقَد سارَت قَوافٍ باقِياتٌ ... تَناشَدَها الرُواةُ بِكُلِّ وادي
فَقُبِّحَ عابِدٌ وَبَنو أَبيهِ ... فَإِنَّ مَعادَهُم شَرُّ المَعادِ

يخاطب الشاعر فرداً من أفراد قبيلة بني عابد، فيبيّن له أن لو صلح حاله فسيبقى من بني عابد؛ وهؤلاء صلاحهم دائماً يؤول إلى فساد، وإن فسدت فهذا حال بني عابد فهم بعيدون عن السداد والصلاح وهذا ديدنهم.

ووجه الهجاء هنا يتمثّل في أنَّ بني عابد إن أرادوا الصلاح فهو فساد عند غيرهم ذلك أنّ حالهم دائماً في فساد، وحمق ثم يقبح عابد نفسه وبني عابد، ويبيّن أنّ هذا التقبيح يتناشده الناس، والرواة بكل واد ومكان، وبعدها يهجو بأصلهم القبيح عندما قال (فإن معادهم شرّ المعاد).

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص142-143.

(2) الصلح من صلح يصلح صلاحاً وصلوحاً، والصلاح ضد الفساد وصلح العابدي أي صلاحه.

(3) النوك: هو الحمق والعجز والجهل.

(4) الغي: يعني الفساد والضلال والخيبة.

وهنا أراد الشاعر أن يعيد بني عابد إلى أصلهم بأنهم أفسدُ أصل، ومولدهم هو شر مولد ومنبت، وهكذا يظهر تأثير الإسلام على أدائه الهجائي، وهذا ما سنتعرض إليه في الفصل الثالث.

ويزيد حسّان في هجاء بني عابد بن عمرو بن مخزوم[1] :

ولَسنا بِشَربٍ فَوقَهُم ظِلُّ بُردَةٍ ... يُعِدّونَ لِلحانوتِ[2] تَيساً وَمِفصَدا [3]

ولكنّنا شَربٌ كِرامٌ إذا انْتَشوا ... أهانوا الصَّريح[4] والسّديفَ المُسَرْهدا[5]

وتحسَبَهُم ماتُوا زُمَينَ حليمةٍ[6] ... وإن تأتِهِمْ تَحمَد ندامتُهم غدا

وإن جئتَهُم ألفَيتَ حَولَ بُيوتِهم ... من المسك والجادي[7] فتيتاً مُبَدّدا[8]

تَرَى فَوقَ أثناءِ الزّرابيِ ساقطاً ... نِعالاً وَقَسُّوباً وَرَيْطاً مُعَضَّدَا

وذا نَطفٍ يَسْعى مُلصقّ خدِّهِ ... بديباجةٍ تكفافُها قَد تَقَدَّدا[9]

وقد تمثّل الهجاء القبلي في هذه الأبيات بتصوير موقف جاهلي، تمثّل في العطاء والجود، فقد كانوا يقصدون البعير إذا خرج دمه جمعوه في شيء، ثم طبخوه ، ثم أكلوه، وهذا من الجاهلية، فهو سيصفهم بالصعاليك الذين يشربون دم التيوس المعصرة، ويعتقدون ذلك سكراً، ويقارن ذلك بحالهم التي يكونون عليها عندما يشربون فينتشون، ويجودون بما عز وطاب.

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص145.

(2) الحانوت: الخمّار .

(3) مفصداً: من الفصد، وهو شق العرق ليخرج دمه.

(4) الصريح: وهو الخالص من كل شيء.

(5) السديف: السنام وسنام مسرهد مقطع قطعاً، وقيل سنام مسرهد: أي سمين.

(6) حليمة: وحليمة هي بنت الحارث بن أبي شمر الغساني، ويوم حليمة هو يوم من أيام العرب المشهورة عندما التقى المنذر الأكبر والحارث الأكبر الغساني.

(7) الجادي: هو الزعفران، وقيل للزعفران ذلك نسبة إلى جادية قرية بالشام ينبت بها الزعفران.

(8) الفتيت: هو من الفت، وهو أن تأخذ الشيء بأصبعك فتصيره فتاتاً أي دقاقا فهو مفتوت وفتيت ومبدّد مفرّق.

(9) كان ساقيهم يصب على وجهه شيئاً ، لئلا يصيب شرابهم من أنفه أو فمه شيءٌ يكرهونه.

فَبَنو عابد لا يأكلون التيوس وإنما يقصرون عروقها وهي حية، ويشربون دماءها بخلاً وشحاً، أما قومه فهم يأكلون الأصل وهو اللحم، بمعنى يهينون الأصل ويأكلونه.

ثم يتعرّض للحالة التي هم عليها عندما يسكرون، وهي حالة تشبه الموت، ولا يحترمون نديمهم، أما قومه فهم يحترمون النديم لأنّهم كرام لا يسيئون.

وتظهر هنا صورة القبيلة من خلال حالهم التي هم عليها عندما يريدون أن يتمتعوا، فهم كالصعاليك لا يمتلكون صفات الكرام، ولا صفات العاقلين، فإذا سكروا كانوا كالأموات، وإذا انتشوا أساءوا لرفاقهم، حتى في سكرهم هم بخلاء.

فتمثّلت صفات القوم في شعره بالبخل، والخسة، والصعلكة، والجنون في حالة السكر، فمثّلهم بالذين يمتصّون الدماء فتصيبهم حالة من الجنون.

ونلاحظ أن الشاعر يحاول دائماً في هجائه بيان الصورة المسرحية المخزية التي هم عليها، وكأنه يصوّرهم بأسوأ صورة يكون البشر عليها، فهو مازج ما بين الصورة والفعل.

ومن شعره الهجائي أيضاً ما قاله في أبي سفيان [1]، إذ قال [2]:

جَزى اللَـــهُ مَخزومـــاً بِأَســـوَا صَـــنيعِها  أَبـــى غَيـــرَ لُـــؤمٍ كَهلُهـــا وَوَليـــدُها
وَدِقَّـــــةِ أَخـــــلاقٍ وَرَأيٍ مُضَـــــلَّلٍ  وَغَـــدرٍ وَلا يـــوفي بِزَنـــدٍ عَقيـــدُها

والشاعر هنا يهجو القبيلة من خلال شيوخها وكبرائها فيدعو عليها أن يجزيها الله بسوء صنيعها، والذي يتمثّل باللؤم ودقة الأخلاق، والرأي المضلل، وهذا ينطبق على شيوخها، وصغارها، ويسترسل في ذكر صفاتهم والتي هي الأخلاق الدقيقة الحقيرة الرديئة، واللؤم والرأي المضلل، كل هذه الأخلاق تتمثّل بهم.

ومن هجائه القبلي أيضاً ما هجا به الخرث بن كعب المجاشعي وهم رهط النجاشي [3]:

---

(1) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

(2) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص161.

(3) النجاشي الشاعر: وهو قيس بن عمرو بن مالك بن معاوية بن خديج بن حماس ابن ربيعة بن حارث ابن كعب، يكنّى أبا الحارث وأبا مخاشن.

حيث قال [1]:

كـــأنهم قَصَـــبٌ جُـــوفٌ أَسَـــافِلهُ ... مُثَقَّـــبٌ نفخـــت فيـــه الأعاصـــيرُ

لا ينفعُ الطولُ من نـــوكِ الرجـــال ولا ... يهدي الإلـــه ســـبيل العشـــر البُـــور

إني سأنصر عِرضـــي مـــن سَـــرَاتِكُمُ ... إنّ الحمـــاسَ لشـــيءٌ غيـــر مـــذكور

ألفـــى أبـــاه وألفـــى جَـــدَّه حبِسَـــا ... بمعزلٍ عن مساعي المجـد والخيـرِ

ثم يذكر الديوان أنهم أتوه يعتذرون منه وتم لحسّان ذلك.

فقد تطرّق إلى ذكر محاسنهم في الطول وعظم أجسامهم، ولكن ما أنهى ذلك حتى جعلها صفة سيئة عندما ألصق هذه الصفات بالبغال، وتفكيرهم بتفكير العصافير.

ثمّ يعلِّق بعد ذلك على مشيتهم بأنهم يتبخترون وهم ليسوا أهلاً لهذه المشية، فقد أراد من ذلك رسم تلك الصورة الساخرة لهم، التي تثير الضحك إذا تم تخيلها.

ثم ينتهي شعره ببيان أن ما تفعلونه ليس من صفات الرجال فالرجال يمتازون بالقوة والشدة عند المشي ليس كما تفعلون وكأنه يقول لهم لستم برجال.

وفي بعض الأحيان نجد أن حسّان يمازج بين الشعر القبلي والفردي في آن واحد ويظهر ذلك من خلال هجائه بني سهم بن عمرو بن مصيص، وعمرو بن العاص بن وائل وأمّه النابغة حيث يقول [2]:

لاطَـــت قُـــرَيشٌ حِيـــاضَ المَجـــدِ فَافتَرَطَـــت ... سَـــهمٌ فَأَصـــبَحَ مِنـــهُ حَوضُـــها صَـــفِرا[3]

وَأَورَدوا وَحِيـــــاضُ المَجـــــدِ طامِيَـــــةٌ [4] ... فَـــــدَلَّ حَوضَـــــهُمُ الـــــوُرّادُ فَانهَـــــدَرا

وَاللَـــــهِ مـــــا فـــــي قُـــــرَيشٍ كُلِّهـــــا نَفَـــــرٌ ... أَكثَـــرُ شَـــيخاً جَبانـــاً فاحِشـــاً غُمُـــرا[5]

أَذَبَّ[6] أَصـــــلَعَ سِفســـــيراً [7] لَـــــهُ ذَأَبٌ[1] ... كَـــالقِردِ يَعجُـــمُ وَســـطَ المَجلِـــسِ الحُمَـــرا

---

(1) حسنين، ديوان حسّان بن ثابت، ط1. ص179-180.

(2) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص225

(3) لاطت تعني أصلحت، ويقال لاط الرجل الحوض أي طينه.

(4) الطامية: من الارتفاع والعلو، ونقول طمى البحر أي زاد وارتفع موجه.

(5) الغمر هنا : من لا غناء عنده ولا رأي.

(6) أذبّ: من ذبّ جسمه بمعنى ذبل أو شحب لونه.

(7) السفسير: هنا يعني الخام.

هُـــذْرٌ مَشَـــائِيمُ مَحْـــرُومٌ ثَـــوِيُّهُمُ[2] إِذا تَـــرَوَّحَ مِـــنْهُمْ زُوِّدَ الْقَمَـــرَا[3]
أَمّـــا اِبـــنُ نابِغَـــةَ[4] العَبـــدُ الهَجـــينُ فَقَـــد أُنحـــي عَلَيـــهِ لِســـاناً صـــارِماً ذَكَـــرا
مـــا بـــالُ أُمِّـــكَ راغَـــت عِنـــدَ ذي شَـــرَفٍ إِلـــى جَذيمَـــةَ[5] لَمّـــا عَفَّـــتِ الأَثَـــرا
كَـــم مِـــن كَـــريمٍ يَعَـــضُّ الكَلـــبُ مِئـــزَرَهُ ثُـــمَّ يَفِـــرُّ إِذا أَلقَمتَـــهُ الحَجَـــرا

من هنا حاول الشاعر أن يتكلم عن القبيلة في بداية شعره من خلال قيامها بتدشين حوض نبلها، ومجدها ومحاولتها دائما تحسينه فمثلها بمن يملك حوضاً ويقوم بتطيينه وإصلاحه، لكن بني سهم أهملت هذه المهمة فما كان من حوض مجدهم إلا الخراب، فأصبحوا خالي الأيدي، وحتى يثبت خلوهم من المجد فلا بد أن يأتي بدليل وهذه كانت عادة حسّان في شعره الفردي، فيلتفت هنا إلى أحد زعمائهم، ذلك أن رؤساء القبيلة هم يمثّلون زعماء سياسيين فوصف عمرو بن العاص بأنه لا رأي عنده، ثم يستطرد في وصفه الجسدي بأنه هزيل أصلع، ثم يصف خادمه بأنه سيء اللسان كأنه قرد لزعيم من زعماء بني سهم.

فالواضح هنا أن حسّان أراد رسم صورة متكاملة، من الهجاء، فبرسمه هذه الصورة لو رؤيت على واقعها لكانت شناعة في الهجاء، انظر إلى رجل صرح كبير، يمتلك رأساً ليس عليه شعر، ونجده مطأطأ الرأس لا يبدي أي رأي، ويمشي بجانبه عبد كأنه قرد، كلما تكلم معه شخص رد عليه بأقبح القول، وهذه صورة أراد أن يرسمها حسّان لزعيم من زعماء بني سهم.

الواضح أنه لم يظهر الهجاء للقبيلة مباشرة، ولكنّه أراد أن يلفت الانتباه إلى الزعماء وكأنّه يقول إذا كان زعماؤهم هكذا فماذا تنتظرون من القبيلة أن تكون.

وكأنه استخدم دلالات نادراً ما يستخدمها الشاعر، أو بالأحرى يكون هناك

---

(1) ذأب، وتعني السلاطة والفحش في اللسان.

(2) محروم ثويهم : يقول أن من نزل عندهم وأقام لديهم حرم القرى فهم إذن أعضاض .

(3) إذا تروح: يريد أن من غدا اليهم ثم تروح من عندهم رجع غير مزود بشيء .

(4) ابن نابغة : هو عمرو بن العاص.

(5) وحذيمة : هو المصطلق بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بـــن عمـــرو مزيقيـــاء ، وربيعة هو لحي أو خزاعة وجذيمة هم الذين أوقع بهم النبي يوم المريسيع .

صعوبة في ربط الصورة الفردية بالقبلية كما فعل حسّان سابقاً، فأي جمال في الأداء نجده عند الشاعر حسّان بن ثابت رضي الله عنه.

ومن القبائل التي هجاها حسّان قبيلة بني عدي بن كعب حيث قال: [1]

قَـــومٌ لِئـــامٌ أَقَـــلَّ اللَـــهُ خَيـــرَهُمُ كَما تَنـــاثَرَ خَلـــفَ الراكِـــبِ البَعَـــرُ[2]
كَـــأَنَّ ريحَهُـــمُ فـــي النـــاسِ إِذ خَرَجـــوا ريحُ الحِشاش[3] إِذا مـــا بَلَّهـــا المَطَـــرُ
قَـــد أَبـــرَزَ اللَـــهُ قَـــولاً فَـــوقَ قَـــولِهِمِ كَمـــا النُجـــومُ تَعـــالى فَوقَهـــا القَمَـــرُ

وهو هنا يشبّه بني عدي بصورة البعر الذي يتناثر خلف الراكب، فهو يمشي إلى الأمام وهم يتساقطون إلى الخلف، ولم يفرج حسّان في وصف لؤمهم وقذارتهم من حالة الروث والفائط فسمعتهم بين الناس كأنّها ريح يخرج من مكان الفائط عندما يصيبه بلل، فهي رائحة كريهة جداً، وهكذا هي سمعة بني عدي، ولكنّ الله قد أظهر عليهم قوماً كانوا كالنجوم تتعالى عليهم فشتان بين موقع النجوم وموقع القمر.

يتبين لنا أنّ ما يفعله حسّان هنا نوع جديد من أسلوب الهجاء وهذا النوع يستخدم فيه الاستعارات المكنية ويستخدم فيه الصورة المسرحية ويستخدم فيه الرسم الكاريكاتيري أيضاً، وكل هذا من أجل أن يقنع المتلقي بصدق ما يهجو به القوم.

وفي هجائه لبني الحماس[4] قال [5]:

أَمّـــا الحِمـــاسُ فَـــإِنّي غَيـــرُ شـــاتِمِهِم لا هُـــم كِـــرامٌ وَلا عِرضـــي لَهُـــم خَطَـــرُ
قَـــومٌ لِئـــامٌ أَقَـــلَّ اللَـــهُ عِـــدَّتَهُم كَمـــا تَســـاقَطَ حَـــولَ الفَقحَـــةِ[6] البَعَـــرُ
كَـــأَنَّ ريحَهُـــمُ فـــي النـــاسِ إِذ بَـــرَزوا ريـــحُ الكِـــلابِ إِذا مـــا بَلَّهـــا المَطَـــر
أَولادُ حـــامٍ فَلَـــن تَلقـــى لَهُـــم شَـــبَهاً إِلاّ التُيـــوسَ عَلـــى أَكتافِهـــا الشَـــعَرُ
لَـــم يُنبِتـــوا فَـــرعَ خَيـــرٍ يُـــذكَرونَ بِـــهِ حَتّـــى يُنَبِّـــتَ عـــودَ النَبعَـــةِ الكَمَـــرُ[7]

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص226.

(2) البعر هنا: رجيع الإبل.

(3)الحشاش: وهو موضع قضاء الحاجة، حيث يمثّل المكان الذي فيه النخل المجتمع والبساتين

(4) الحماس: وهي قبيلة تعود في أصلها إلى ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب.

(5) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص226.

(6) الفقحة: وهو الدبر وقيل حلقه الدبر وجمعها فقاح.

(7) الكمر: ويقصد به النخيل.

إن ســـابَقوا سُـــبِقوا أَو نـــافَروا[1] نُفِـــروا  أَو كـــاثَروا أَحَـــداً مِـــن غَيـــرِهِم كُثِـــروا
تَلقـــى الحِماسِـــيَّ لا يَمنَعـــكَ حُرمَتَـــهُ  شِـــبهَ النَبـــيطِ إِذا اِســـتَعبَدتَهُم صَـــبَروا

إن صورة المهجو في هذه الأبيات الشعرية تظهر من خلال الوقيعة في الصفات من خلال بيان المعايب والمثالب التي تميز بها بنو الحماسي حسب نظره.

فقد حاول أن ينفي في بداية كلامه أنه يهجوهم، وهذا بحد ذاته هجاء لأنّه يستصغرهم حتى على الشتم، ويعلل استصغاره لهم بأنهم قوم لا هم كرام، حتى أنّه يستنكرهم أن يكونوا خطراً عليه، ويظهر ذلك من خلال قوله (ولا عرضي لهم خطر)، ذلك أن الخطر هنا يعني المثل والعدل، فهو يقول أنّهم لا يشكّلون خطراً عليه وهو وعشيرته أفضل منهم.

ثم يأتي بصورة فيها نوع من التصوير الفني لواقعة حقيقية تمثل أشد حالات السوء والاستحقار، حيث يشبّههم برجيع الإبل والشاء، عندما يخرج من دبرها ويلتصق حولها، ثم هو يبقى في نفس المشهد الذي يحتوي على حالة هي الأسوأ في القذارة والسوء، حيث يشبه سمعتهم بين الناس بالكلب المتسخ إذا ما ابتل في ماء، ثم ينفي عنهم الشبه لأي إنسان ويقع شبههم على التيوس صاحبة الشعر الكثيف على أكتافها.

وبعد أن ينهي وصفه يؤكّد أن هذه الصفات سوف تبقى معلماً ولن يتحسّنوا حتى لو أنجبوا أولاداً إلا إذا تم تنبيت عود النبعة الكمر، وهو شجر أصفر العود إذا تقادم احمرّ، ولا ينبت إلا في قمم الجبال، وهذا الشجر لا نار فيه.

لذا نجده استخدم مجموعة من التشبهات منها: (التشبه بـــروث وبعـــر الإبـــل والشاء، ثم التشبيه بالتيوس ثم التشبيه بشجر النبعة الكمر، ثم بالكلب المتسخ) لذا تجد أن كل تشبيه استخدمه ليوصل السامع والقارئ إلى فكرة معينة، أو إثبات صفة خُلقية معينة عن المهجو، ومنها البُخل وفقدان الكرامة والهوان، لذا استخدم طريقة التشبيه بالشيء المحسوس الذي تستقذره النفوس، وهو البعر في حالة خروجـــه والتصـــاقه بالدبر، واستخدم معها أسوأ ريح يمكن أن تخرج وهي الكلب عندما يبتل.

---

(1) نافروا: والمقصود بالمنافرة المفاخرة والمحاكمة في النسب.

ومن القبائل التي لحق بها الهجاء من قبل حسّان بن ثابت: بنو العوّام[1] حيث قال فيهم [2]:

بَنـي أَسَدٍ ما بالُ آلِ خُوَيلِدٍ[3] يَحِنّونَ شَوقاً كُلَّ يَومٍ إِلى القِبطِ[4]
إِذا ذُكِرَت قَهقاءُ[5] حَنّوا لِذِكرِها وَلِلرَمَثِ[6] المَقرونِ وَالسَمَكِ الرُقطِ
وَأَعيُنُهُم مِثلُ الزُجاجِ[7] وَصيغَةٌ تُخالِفُ كَعباً في لَحىً لَهُمُ شُطِّ[8]
لَعَمروُ أَبي العَوّامِ إِنَّ خُوَيلِداً غَداةَ تَبَنّاهُ لَيوثِقُ في الشُرطِ[9]
وَإِنَّكَ إِن تَجرُر عَلَيَّ جَريرَةً رَدَدتُكَ عَبداً في المَهانَةِ وَالعَفطِ[10]

في هذه الأبيات يحاول حسّان بن ثابت في هجائه بني العوّام أن يعبّر عن تعدد الأبعاد والمستويات الهجائية، حيث لجأ إلى وسيلة تعد غاية في جمالية الأداء الهجائي، وهي ربط الصفات التي أناطها بنو العوام بمياه النيل فهو يقول أنهم يحنّون إلى بحر النيل، وما فيه من أرماث وسمك مرقّط، وفي نفس السياق يعيد صفاتهم

---

(1) وهي قبيلة تعود إلى عبد الرحمن بن العوّام، والذي كان يدعى في الجاهلية عبد الكعبة فسماه سيدنا محمد ﷺ عبد الرحمن، وقد هجا قومه هنا لأنّه كان قبل الإسلام يؤذي السيد الأمين محمد ﷺ.

(2) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص239.

(3) قوله بني أسد ما بال آل خويلد، فإن العوام هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي.

(4) القِبْطِ : يريد إلى المصريين ، أي إلى نيل مصر لأنهم عوامون مثل السمك .

(5) قهقهاء كصحراء وقهقوة كترقوة كورة بمصر من أعمال البحيرة كما جاء في القاموس المحيط.

(6) الرمث : خشب يشد بعضه إلى بعض كالطوف ثم يُركَب عليه في البحر .

(7) وَأَعيُنُهُم مِثلُ الزُجاجِ، يريد مثل أعين السمك.

(8) شُطِّ : تقول رجل شط وأشط أي كوسج عرى وجهه من الشعر إلا طاقات في أسفل حنكه، ويقول حسان وهم في ذلك يشبهون السمك .

(9) قوله ليوثق في الشرط : يريد شرط الخلقة التي خلق العوام وبنوه عليها وهي تلك المعاني التي ذكرها .

(10) العوافط : أي المعيز ، والعفط والعفيط نثير المعز بأنوفها أو عطاسها والعافطة الماعزة فعلت ذلك.

الخلقية إلى صفات حيوانات الماء، كالسمك فيقول: أنَّ عيونهم كأنّها عيون سمك وهذا واضح من قوله (وأعينهم مثل الزجاج) فالسمك له عيون كأنها زجاج، وحتى أن لحاهم مقطعة وهذا يشبه السمك، ونجد هذا في شبابهم وأطفالهم وحتى في الشيب منهم.

ومن الواضح أن صورة الهجاء وقعت على الخلقة من حيث شكل العيون وقلة شعر اللحى وتشبيههم بالسمك.

فالشاعر هنا أراد أن يسرد قصة خلق بني العوّام، بمشهد متفرّد يمثّل لحظة مصوّره ومسلطة على شاشة القارئ التخيلية، وهنا نلاحظ أن حسّان رغم عدم معاصرته لمسألة المسرح والدراما، إلا أننا نجده يطبّق ذلك في شعره الهجائي فيصوّر الأبيات بمشهد يؤدى من قبل شخصيات معينة تمثل القبيلة، بحيث يستغرق من الوقت بالقدر الذي لا يكون فيه تغيير في المكان، أو أي قطع في الزمان، وهذا المهجو في شعر حسّان أحياناً يمثّل شخوصاً لصورة مشهدية شعرية بحتة[1].

وهذه الصورة المدفونة في شعر حسّان بن ثابت أعتقد أنّها تشكل أساساً يجب أن يعتمد عليه فيما يسمّى بالدراما في القصيدة العربية الحديثة، والتي أخذت تنزع إلى المشهد، وخاصة ما يسمّى بالدراما الحديثة التي توصف بدراما الصورة، ذلك أن بناء المشهد الذي يستخدمه الشاعر يوازي مفهوم الدراما وذلك لتضمنه عناصر الدراما من حركة وفعل وصوت وهذا ما كان يستخدمه حسّان بن ثابت في هجائه الظاهر في الأبيات التي ذكرناها سابقاً، من أول مشاهد الهجاء القبلي لبيان صورة المهجو القبلي في شعره الهجائي[2].

وقد هجا حسّان أيضا قبيلة أسلم حيث قال [3]:

---

(1) سرميليان، ليون، (1987)، بناء المشهد الروائي، ترجمة فاضل تامر، الثقافة الأجنبية، بغداد، ص68.

(2) المجالي، حسن، (د،ت) أثر الفنون في الشعر العربي، السرد، الدراما، رسالة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة مؤتة، ص91.

(3) البرقوقي، ديوان حسان بن ثابت، ص267.

لَقَد أَتى عَـن بَنـي الجَربـاءِ[1] قَـولُهُمُ ... وَدونَهُـم قُـفٌّ جُمـدانٍ[2] فَمَوضـوعُ

قَـد عَلِمَـت أَسـلَمُ الأَنـذالُ أَنَّ لَهُـم ... جـاراً سَـيَقتُلُهُ فـي دارِهِ الجـوعُ

وَأَن سَـيَمنَعُهُم مِمّـا نَـوَوا حَسَـبٌ ... لَـن يَبلُـغَ المَجـدَ وَالعَليـاءَ مَقطـوعُ[3]

قَـد رَغِبـوا زَعَمـوا عَنّـي بِـأُختِهِمُ ... وَفـي الـذُرى نَسَـبي وَالمَجـدُ مَرفـوعُ[4]

وَيلُ اُمِّ شَـعثاءَ شَـيئاً تَسـتَغيثُ بِـهِ ... إِذا تَجَلَّلَهـا الـنَعظُ الأَفـاقيعُ[5]

كَأَنَّـهُ فـي صَـلاها[6] وَهـيَ بارِكَـةٌ ... ذِراعُ آدَمَ مِـن نَطّـاءَ[7] مَنـزوعُ[8]

وتجمل صورة المهجو القبلية هنا بتلك الصورة التي ترسم الصفة الجسدية والمعنوية لأفراد القبيلة، حيث هجاهم أولاً بأحد الأمراض التي يشمئز منها الناس وهي الجرب، ثم عاد ليذكر مثالبهم الأخرى كالنذالة والبخل، وقلة الحسب والنسب.

والواضح هنا أن حسّان في معظم قصائده يحاول أن يضع حّيزاً للمقارنة مع المهجو وقومه، أو نفسه، والنبرة التي كان يخاطب بها حسّان المهجو، وهي نبرة الأبطال، إلا أنه هنا انتقل إلى صورة أخرى للهجاء، وهي صورة ساخرة ليس لها من مدلول أكثر من أن يجعل من يستمع إليها يضحك من سخريته بهم.

وهنا أيضاً وردت في الديوان قصيدة هجاء بني المغيرة بن عبدالله وهي [9]:

---

(1) بني الجرباء ، أي بن المرأة المصابة بالجرب ، والجرب بثر يعلو أبدان الناس .

(2) وجمدان، موضع بين قذيد وعسفان.

(3) البرقوقي، ديوان حسّان بن ثابت ، ص267.

(4) المرجع نفسه، ص267.

(5) النعظ: الشبق عند المرأة وإنتهاء الجِماع. والأفاقيع: هي ما يتفقع ويسمع له صوت مثل تفقيع الأصابع.

(6) الصلاة: بمعنى الذكر والصلا وسط الظهر من الانسان ومن كل ذي أربع وقيل هو ما انحدر من الوركين، وقيل هي الفرجة بين الجاعرة والذنب.

(7) وقوله: من نطَّاء منزوع: لعلة يريد منزوع من عقبة نطَّاء والعقبة الجبل الطويل يعرض للطريق فيأخذ فيه ونطاء يعيده من نياط المفازة وهو بعد طريقها كأنها نيطت بمفازة أخرى لا تكاد تنقطع، وانتاطت الدار بعدت.

(8) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص267.

(9) المرجع نفسه، ص268.

قد حَـانَ قَـــولُ قصيـــدةٍ مشهـــورةٍ  شَـــنعاءَ أَرْصُـــدُها لقـــومٍ رُضَّـــــع
يغلي بهـا صَـدْري وأُحْسِـنُ حَوكَهـــا  وأَخَالُهـــا سَتُقـــالُ إن لـــم تُقطَـــــع
ذَهَبَـــــت قُـــريشٌ بالعَـــلاءِ وأَنْتُـــمُ  تَمْشُـــون مَشْـــيَ المومســـاتِ الخـــرّع[1]
فـــدَعُوا التخـــاجُؤَ وامْنَعـــوا أَسْـــتَاهَكُمْ[2]  وامشُـــوا بمدرجـــةِ الطّريـــقِ المهيّـــع[3]
أنتـــم بقيـــةُ قـــومِ لـــوطٍ فاعْلَمـــوا  وإلـــى خِنَـــاثِكُم يُشـــارُ بإصبـــعِ [4]
وإذا قـــريـــش حُصِّلـــت أنسابُهَـــا  فَبِـــآلِ شـــجعٍ فافخـــروا فـــي المجمـــع
خـــرقٌ [5]معازيـــلٌ [6] إذا جـــدَّ الـــوَغى  بُطُن [7] إذا مـــا جارُهُـــم لـــم يَشبـــعِ[8]

الشاعر هنا يبين صورة المهجو بتلك المومسة التي تتمايل في مشيتها مع الفجور، وغيرها تبحث عن العلياء ثم ينسبهم إلى قوم لوط، من لواطهم وفجورهم وانحلالهم الخُلقي، ثم يستدرج في الهجاء حتى يصل إلى صورة القبيلة الجبانة التي تهاب القتال في ساحة الوغى وأنهم لا يفلحون إلا في الأكل لذا وصفهم بالقبيلة التي لا هم لها إلا البطن فهم يمثّلون القوم الرغيب أي الذي لا تنتهي نفسه من الأكل

وقد هجا حسّان أيضا بني المغيرة فقال: [9]

سَـــــأَلتُ قُرَيشـــــاً فَقَـــــد خَبَّـــــروا  وَكُـــــلُّ قُـــــرَيشٍ بِكُـــــم عـــــالِمُ
فَقالَـــــت قُـــــرَيشٌ وَلَـــــم يَكـــــذِبوا  وَقَـــــولُ قُـــــرَيشٍ لَكُـــــم لازِمُ

---

(1) الخرع: أي الفاجرات والخريعة هي المتكسرة التي لا ترد يد لامس كأنها تتخرع له، وقيل هي الناعمة مع الفجور.

(2)الاستاء: جمع است وهو العجز.

(3) التتخاجؤ : يعني التباطؤ في المشي.

(4) خناثكم: أي التثني والتكسر وهي من اللين والتكسر.

(5) خرق: جمع أخرق وهو الأحمق.

(6) المعازيل: جمع معزال وهو الضعيف .

(7) يقال رجل بطن : أي لا هم له إلاّ بطنه وقيل هو الرغيب الذي لا تنتهي نفسه من الأكل .

(8) حصّلت أنسابها: أي بيّن وميّز وهي من قوله تعالى: ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾: أي بيّن واكشف.

(9) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص403.

عَبيـــــدٌ قُيـــــونٌ إذا حُصِّـــــلوا[1] أَبـــوكُم لَـــدى كيـــرِهِ جـــاثِمُ [2]
فَســـــائِل هِشـــــاماً إذا جِئتَـــــهُ وَخِرقَـــةُ عَيـــبٌ لَكُـــم دائِـــمُ
أَطَـــبخُ الإِهالَـــةِ [3] أَم حَقنُهـــا فَأَنفُـــكَ مِـــن ريحِهـــا وارِمُ
وَجَمـــرَةُ عـــارٌ لَكُـــم ثابِـــتٌ فَقَلبُـــكَ مِـــن ذِكرِهـــا واجِـــمُ

وقال فيهم أيضاً [4]:

نالَـت قُـرَيشٌ ذُرى العَلياءِ فَانحَنَثَـت بَنـو المُغيـرَةِ عَـن مَجـدِ اللَهـاميمِ [5]
وَافتَخَـروا بِـأُمورٍ أَهلُهـا نَفَـرٌ أَحسابُهُم مِن قُصَـيٍّ فـي الغَلاصـيمِ [6]
بِنَـدوَةٍ مِـن قُصَـيٍ كـانَ وَرَّثَهـا وَبِـاللِواءِ وَحُجّـابٍ قَمـاقيمِ [7]
مِن جَوهَرٍ مِن قُـرَيشٍ فَـالتَمِس بَـدَلاً مِـنهُم مَعـانيقَ فـي الهَيجـا مَقـاديمِ

وقال فيهم أيضاً: [8]

هـلاّ مَنَعـتُم مِـنَ الْمَخْـزَاةِ أُمَّكُـمُ عِندَ الثَّنِيَّةِ مِـنْ عَمْـرو بْـنِ يَحْمُـومِ[9]
أَسـلَمتُموها فَباتَـت غَيـرَ طـاهِرَةٍ ماءُ الرِجالِ عَلـى الفَخـذَينِ كَـالمومِ[10]
بَنـو المُغيـرَةِ فُحـشٌ فـي نَـدِيِّهِمِ تَوارَثـوا الجَهـلَ بَعـدَ الكُفـرِ وَاللـومِ

ففي هذه الأبيات يتصور حالتهم بين الناس فيصفهم بالقنافذ التي تستتر في النهار، فهم يتقنفذون في النهار لخستهم ونذالتهم، وأمّا في الليل فإن ساريهم يلقى، وهذا دليل على شدة لؤمهم وخستهم.

لاحظنا كيف أنّ الشاعر في بداية قصائده الهجائية بحسب ترتيب الديوان

---

(1) حصلوا : بينوا أو ميزوا.

(2) جاثم: بمعنى تلبد في الأرض.

(3) الإهالة: وتعني الودك أي الدهن الذي يستخرج من اللحم.

(4) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، مصدر سابق ، ص403.

(5) اللهاميم: أي السيد الشريف.

(6) الغلاصيم: أي الأعالي والجلة والشرف.

(7) قماقيم: السيد كثير الخير واسع الفصل.

(8) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص404.

(9) عمرو بن يحموم أراد به عمرو بن حممة الدوسي.

(10) الموم : الشمع واحدته مومة شبه به مني الرجال.

الشعري كان أن يذكر الحجج والبراهين التي دفعته إلى أن يقوم بهذا الهجاء، أو أن ينعت القبيلة بهذه الصفة أو تلك، وهذا فيه قوة في عرض الفكرة، وقبولها فضلاً عما يسببه عند المهجو من الحقد والحقن الشديد، وهذا ما يحاول الشاعر أن يصل إليه دائماً من حيث إشفاء غليله، ومحاولة قتل الخصم من خلال هذه الصفات ذات الحجج والدلالات الزمانية والمكانية.

فكان في بعض الأحيان يحاول أن يخلق مناخاً حيّاً من خلال التزاوج الحي بين الشعر والرسم، أو من خلال الشعر والتصوير، أو من خلال الشعر والتمثيل، وهذه الأساليب قد استخدمها حسّان ببراعة متناهية في تجسيده لصورة المهجو القبلية.

وحسّان في هجائه القبلي كان لا يتعرض كثيراً لأمور ساخرة أو بسيطة وإنما كان يركّز على إضفاء صور الجبن، والخسة، والنذالة على خصمه وهذا عائد إلى طبع تفكير الشاعر الذي عاش بين قبيلة محاربة، كان يتغنّى بأمجادها فلا يهمّه هو إلا إنكار صفة الرجولة على كل من لا يمتلكون الصفات التي أوجدها الشاعر، والتي لا ندري أهي حقيقة أم أنّها من صنع مخيلته، فكيف لك أن تتصور حال هؤلاء القوم، هكذا أراد الشاعر أن ينقل المستمع إلى حالة من الحكم على القوم من خلال مشهد تمثيلي كوميدي ساخر.

تبدو لنا صورة المهجو القبيلة متمثلة بالغدر، وقلة الحيلة، والقصور العقلي، بحيث وصل الحال إلى أن التيس عنده من الشرف والمكانة أكثر منهم.

وقال فيهم أيضا: [1]

لَـــو خُلِـــقَ اللُـــؤمُ إِنســـاناً يُكَلِّمُهُـــم ... لَكـــانَ خَيـــرَ هُـــذَيلٍ حـــينَ تَأْتِيهـــا

تَرى مِنَ اللُـــؤمِ رَقمـــاً بَـــينَ أَعيُـــنِهِم ... كَمـــا كَـــوى أَذرُعِ العانـــاتِ[2] كاويهـــا

تَبكـــي القُبـــورُ إِذا مـــا مـــاتَ مَيِّـــتُهُم ... حَتّى يَصـــيحَ بِمَـــن فـــي الأَرضِ دَاعيهَـــا

مِثـــلُ القَنافِـــذِ تَخـــزى أَن تُفاجِئَهـــا ... شَـــدَّ النَهـــارِ[3] وَيُلقـــى اللَيـــلَ ســـاريها

فيعود ليصفهم في هذه الأبيات باللؤم، حتى أنه يبين أن من شدة لؤمهم لو أن

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص424.

(2) العانات: وهي جمع عانه وتعني الأتان.

(3) شد النهار : أي أعلاه عندما تكون الشمس في كبد السماء.

اللؤم يتحول إلى إنسان يتكلم لكان هو الخير لهذيل عندما يأتيها أحد وحتى القبور تبكي لأنّها تحتوي ميتهم.

فهو يحاول أن يثبت شدة اللؤم التي عند هذيل بصور تكاد تكون من الخيال كبكاء القبور لأنّها تحوي أمواتهم، وتمثّل اللؤم بصورة إنسان ليكون أفضلهم، ثم ينهي بعد ذلك هجاءه. قال في هجائه لقبيلة هذيل: [1]

إن سَرَّكَ الغَدرُ صِـرفاً لا مِـزاجَ لَـهُ  فأت الرجيـع [2] وَسَل عَـن دارِ لِحيـانِ
قَـومٌ تَواصَـوا بِأَكـلِ الجـارِ كُلُّهُـمُ  فَخَيـرُهُم رَجُـلاً وَالتَـيسُ مِـثلانِ
لَو يَنطِقُ التَيسُ ذو الْخُصْيَيْنِ وَسـطَهُمُ  لَكـانَ ذا شَـرَفٍ فـيهِم وَذا شـانِ

يحاول الشاعر قبل أن يخوض غمار الهجاء لهذيل أن يمهد لما يريد الهجاء به، وذلك بتساؤله عن شيء هو مستهجن أو نادر أن يكون من شيم الرجولة، وهو (الغدر) فيقول: إن أردت أن تسأل من هم يمتازون بهذه الصفة فاذهب إلى ماء الرجيع، ذلك أنهم لا يصونون الجيرة ولا يحترمونها، وخيرهم من هو التيس شبيهه، ثم ينكر صفة الشرف والشأن عنهم، حتى أنه يقول لو أن التيس ينطق ويتكلم فيهم فسيكون له شأن ومكانة، فالتيس وهو حيوان لا يمتلك العقل، لو نطق فيهم لقالوا عنه شريف ذو شأن، فهذا يدل على سخافتهم وسذاجتهم.

والشاعر هنا أراد أن يصور لنا مشهداً من أناس يجلسون حول تيس وهو يتكلم ويستمعون له.

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص416.

(2) الرجيع: هو ماء لِهَذيل.

## الفصل الرابع

## المهجو الفرد والقبيلة وصورته في شعر حسّان بن ثابت في عهد الإسلام

### 1.4 الصورة الإسلامية للمهجو في شعر حسّان بن ثابت

نحن ندرك أن الشعر الهجائي كان موجوداً قبل الإسلام بصوره المختلفة وغاياته المتعددة، ولربما في مجيء الإسلام اتخذ كثير من الشعراء المسلمين طرقاً جديدة، من حيث اختيار الألفاظ التي تتماشى مع إسلاميته واحترامه لمبادئ الدين الحنيف.

وظهور الإسلام في الواقع شكّل ثورة دينيه وسياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة في تاريخ العرب، ففي الجاهلية كانت العرب تقوم على أساس نظام القبيلة، والقبيلة هي وحدة سياسية قائمة بذاتها، لها دينها ولها عصبيتها التي تضمن التماسك بين أفرادها والاعتزاز بالأنساب والعصبية، كانت هي مصدر القوة السياسيَّة للقبيلة. (1)

وعلى هذا لم يكن للمجتمع العربي في الجاهلية نزعة قومية شاملة، إلا عندما فطنوا إلى مطامع الفرس والروم في بلادهم، فانبعثت فيهم روح القوميّة في اليمن وهزموا أبرهة في مكة، فكانت هذه وغيرها بواعث لإلهاب الشعور القومي عندهم.(2)

أما بالنسبة للشعر، فقد بقي الحال كما هو عليه من حيث مدح القبيلة وفرسانها، أمّا الهجاء فكان لمن يحاولون المساس بالقبيلة ونسبها.

ولما جاء الإسلام وأسلمت كثير من القبائل العربية، وأسلم كثير من الشعراء، تغير نمط الشعر عند بعضهم، من حيث الأدب في اللفظ والمعنى، وكان حسّان من بين الشعراء الذين أسلموا.

إلاّ أنّ ما يميّز حسّاناً عن غيره، أنّه جعل من شعره وثيقة تاريخية لعالم الأنا، أي أنا الأديب وأنا الشاعر، والتي تعيش مع أنا المجتمع في صومعتها، ومن شعره

---

(1) سالم، عبد العزيز، (1963)، دراسات في تاريخ العرب،دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، ط1،ج1 عصر ما قبل الإسلام، ص569 وما يليها.

(2) سالم عبد العزيز، (د،ت) تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، د، ط، ص496.

أيضاً ما هو وثيقة لعالم الغيرية غيرية المجتمع الذي يعيش مع أنا الأديب، فكان شعر حسّان سواء الهجائي أم غيره، هو امتداد بين عالمين، تارةً يأخذ في البروز وأخرى يأخذ في البيان، بحيث يبدأ في حدود من القبلية والحزبية، لينتهي في حدود من ذلك، وانطلاق في القومية والدينية [1]

لقد أذن حسّان بن ثابت بعد أن وقف بين يدي رسول الله ﷺ أن ينسلخ عن تاريخه وحياته ليلازم الرسول ﷺ، ويصبح شاعر النبي ﷺ والمؤرخ الأمين لحوادث عصره وكان أيضاً فارساً بشعره يدافع عن الإسلام والمسلمين، فإنّ لم يكن من الفرسان أصحاب الحسام ولم يدافع عن النبي بحسامه إلاّ أنه دافع عنه بشعره، وجابه بهذا الشعر أعداء الرسول وخصومه، وهجاهم أشد الهجاء وأقواه.

ولكن ما يميز حسّان رضي الله عنه في هجائه هنا أنّه لم يتعرّض إلى ما تعرّض إليه الشعراء، بل اتجه في هجائه مذهباً جديداً

ولعلّ من أبرز الأمثلة على ذلك ما هجا به أبا سفيان، والذي كان يمثّل رأس الكفر في تلك الفترة حيث صوّره تصويراً غريباً، إذ جعله بعيداً عن دوحة النبي ﷺ ولا يمتُّ للنبي بصلة، وأنّه في هذه العائلة كالحشرة التي يسمونها قُراد وهي التي تلصق بالحيوان فتلازمه حيث يقول: [2]

لقدْ عَلِمَ الأقوامُ أنّ ابْنَ هَاشِمٍ ... هوَ الغُصْنَ ذو الأفنان[3] لا الوَاحدُ الوَغْدُ[4]

وما لكَ فيهمْ محتدٌ يعرفونهُ، ... فدونكَ فَالْصَقْ[5] مثلَ ما لَصقَ القُرْدُ[6]

وَإنّ سَنَامَ المَجْدِ مِن آلِ هاشِمٍ ... بَنُو بنتِ مخزومٍ، وَوَالِدُكَ العَبْدُ

فحسّان في هجائه لم يتعرض إلى ما تعرض إليه الشعراء من هجاء مقذع

---

(1) الطباع، شاعر النبي حسّان بن ثابت، ص6+7.

(2) ابن ثابت، حسّان، الديوان، 159.

(3) ويقصد الرسول ﷺ.

(4) يريد أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، والوغد الرذل الدنيء، والوغد الخادم الذي يخدم بطعام بطنه.

(5) الملصق : هو الرجل المقيم في ا لحي وليس منهم.

(6) المقصود به: القراد وهي دويبة معروفة تعض الإبل .

يخرج عن حدود الأدب، والذوق أو من وصف المرء وصفاً غير حقيقي، وإنما لغاية في النفس، وحسّان لم يكن مقذعاً في هجاء القرشيين، وإن كان حكيماً مرناً لبقاً في هذا الهجاء، وكان عليه أن يكون كذلك، لأنّه إذا تعرض لهؤلاء في شيء فإنما يتعرض للرسول ﷺ، والنقاد ردوا هذا الأمر إلى بعض الروايات التي لم يتأكد من صحتها والتي تشير إلى أن حسّان بن ثابت عندما رغب في هجاء جماعة من قريش قال له الرسول ﷺ: "وكيف تصنع بي " فقال أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين" وفي رواية أخرى اذهب وجبريل معك [1]

وبهذه النبذة الموجزة عن حيثيات العصر الذي عايش فيه حسّان بن ثابت، وكيفية تدرجه الشعري، حتى وصل إلى مرتبة شاعر النبي ﷺ نستطيع بعد ذلك أن نجلي الصورة عن أسباب شعره الهجائي، وبعد أن بيّنا التحوّل الذي أصاب حسّان ابن ثابت في مرحلة إسلامية، واعتماده على الانزياحات المفهومية في شعره والتي تمتاز بالحنكة والذكاء والملكة الشعرية العالية،

لذا سنبحث هذا الفصل من خلال ثلاثة مباحث رئيسة، المبحث الأول: ونركز فيه على بيان أسباب الشعر الهجائي عند حسّان بن ثابت في مرحلة أسلامه، أما المبحث الثاني: فسنخّصصه في شعر حسّان الهجائي وصوره المستنبطة من فكره المسلم وصفاً وتحليلاً، ثم في المبحث الثالث: نوضّح المفاهيم اللفظيّة في شعر الهجاء في مرحلة إسلاميّة.

## 2.4 أسباب الشعر الهجائي عند الشاعر حسّان بن ثابت في مرحلة إسلامه.

تعددت أسباب الشعر الهجائي عن الشاعر حسّان بن ثابت في المرحلة التي أعلن فيها إسلامه. وهذه الأسباب وإن تنوّعت إلاّ أنّها لم تخرج عن إطار الانتصار والافتخار والاعتزاز الذي رافق حسّاناً في شعره في المرحلة الجاهلية عندما كان يهجو أعداء قومه وعشيرته، لذا فإنه في هذه المرحلة وبعد إن صار انتماؤه للدين الإسلامي، استبدل العشيرة بالمسلمين جميعاً فأصبحوا هم عشيرته وقومه، فحسّان

(1) الطباع، شاعر الرسول حسّان بن ثابت، ص40.

بن ثابت التحق بالمسلمين في بداية الدعوة الإسلامية، وخاصّة في مرحلة المدينة المنوّرة، عندما هاجر النبي ﷺ إلى طيبة، المدينة المنورة، مدينة الرسول ﷺ.

من هنا بدأ حسّان رضي الله عنه ينطلق انطلاقات هجائية نحو التحول في الأسلوب والغرض، وهذا ما سنلاحظه في المبحث القادم من هذا الفصل.

ومن هذه الأسباب ما يأتي.

**أولاً:- الهجاء من أجل الدفاع عن الدين الإسلامي.**

حيث ركّز هنا على هجاء رؤوس الكفر الذين كانوا يقفون وقفة أعداء من الدعوة الإسلامية ومنهم أبو سفيان إذ قال فيه: (1)

لَعَمرُكَ إنَّ إلَّكَ(2) مِن قُرَيشٍ كَإلِّ السَقبِ(3) مِن رَألِ النَعامِ (4)
فَإنَّكَ إذ تَمُتُّ(5) إلى قُرَيشٍ كَذاتِ البَوِّ جائِلَةِ المَرامِ (6)
وَأَنتَ مُنَوَّطٌ(7) بِهِمُ هَجينٌ كَما نيطَ السَرائِحُ(8) بِالخِدامِ (9)
فَلا تَفخَر بِقَومٍ لَستَ مِنهُم وَلا تَكُ كَاللِئامِ بَني هِشامِ (10)

ومن دفاعه أيضاً ما هجا به أبا جهل بن هشام، حيث قال: (11)

سَمّاهُ مَعشَرُهُ أَبا حَكَمٍ وَاللَهِ سَمّاهُ أَبا جَهلِ
وَكَأَنَّهُ مِمّا يَجيشُ بِهِ مُبدي الفُجورَ وَسَورَةَ الجَهلِ

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص،407.

(2) الإل: هو الرحم.

(3) السقب: ولد الناقة ساعة يولد.

(4) والرأل: هو ولد النعامة.

(5) تَمُتُّ: أي تدعي.

(6) البُو: هو جلد ولد الناقة يحشى تبناً أو حشيشاً لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها.

(7) منوط: معلق.

(8) السرائِح: جمع سريحة وهي السيور التي تشد بها الخدّام.

(9) الخِدام: وهي السيور الغليظة المحكمة مثل الحلقة تُشد في رصغ البعير، ثم تُشدّ إليها السرائح.

(10) ويقصد المخزوميين في هذا البيت.

(11) ابن ثابت، حسّان، الديوان الشعري، ص106.

يُغـــــرى بِـــــهِ سُـــــفعٌ لَعامِظَـــــةٌ  مِثــلُ السِــباعِ شَــرَعنَ فــي الضَــحلِ[1]
أَبقَـــــت رَياسَـــــتُهُ لِمَعشَـــــرِهِ  غَضَـــبَ الإِلَـــهِ وَذِلَّـــةَ الأَصـــلِ

ومن دفاعه أيضاً ما هجا به بعض القبائل التي هاجمت الدعوة الإسلامية، حيث هجا بني الحارث بن كعب بن مذحج فقال: [2]

يـــا راكِبـــاً إِمّـــا عَرَضـــتَ فَـــبَلِّغَن  عَبـــدَ المُـــدانِ وَجُـــلّ آلِ قَيـــانِ
قَـد كُنـتُ أَحسِـبُ أَنَّ أَصـلي أَصـلُكُم  حَتّـــى أَمَـــرتُم عَبـــدَكُم فَهَجـــاني[3]
فَتَوَقَّعـــوا سُـــبلَ العَـــذابِ[4] عَلَـــيكُمُ  مِمّـــا يُمِـــرُّ[5] عَلَـــى الـــرَوِيِّ لِســـاني

وهجا الوليد بن المغيرة أيضا فقال:[6]

متـــى تنســـبْ قـــريشٌ، أوْ تحصـــلْ  فَمَـــا لـــكَ فـــي أرُومَتِهَـــا[7] نِصَـــابُ
نفتـــكَ بنـــو هصـــيصٍ[8] عـــنْ أبيهـــا  لشـــجعٍ حيـــثُ تســـترقُ العيـــابُ
وأنـــتَ، ابـــنَ المغيـــرةِ[9]، عبـــدُ شـــولٍ  قـــدَ انـــدبَ حبـــلَ عاتقـــكَ الوطـــابُ[10]
إذا عُـــدّ الأطَايـــبُ مِـــنْ قُـــرَيْشٍ  تلاقـــتْ دونَ نســـبتكمْ كـــلابُ

---

(1) يغرى به: يولع به، وسفعٌ : سود، ولعامظة: جمع لغموظ وهو الحريص الشهوان، واللعموظ أيضاً : الذي يخدم بطعام بطنه، والضحل: الماء القليل يكون في الغدير ونحوه، وشرعنا: أي وردنَ ليشربن.

(2) بن ثابت، حسان، الديوان الشعري، ص420.

(3) قوله : عبدكم ، يريد به النجاشي.

(4) سُبل العذاب: كثرة مطره وتدفقه.

(5) يُمِر: يُحكم.

(6) ابن ثابت، حسّان، الديوان، تحقيق البرقوقي، مرجع سابق، ص58.

(7) الأرومة:- أي الأصل والمرجع.

(8) اللمصيص: هي بطن من قريش وتنتسب إلى هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، أما شجع فهي قبيلة وهي كنانة، وتسترق من السرقة والعياب هي وعاء من أدم يكون فيها المتاع والثياب وهي أيضاً زبيل من أدم ينقل فيه المحصول إلى الجرين.

(9) عبد شول: راعي الإبل، والشول: جمع شائلة ، والشائلة من الإبل ما أتى عليها من حملِها أو وضعها سبعة أشهر فجفّ لبنها.

(10) الوطاب: جمع وطب وهو الزق الذي يكون فيه اللبن.

وَعِمْـــرَانَ بـــنَ مَخْـــزُومٍ فَـــدعْها هُنَـــاكَ السَّـــرُّ والحَسَـــبُ اللُّبَـــابُ[1]

**الهجاء من أجل الدفاع عن الرسول ﷺ.**

ومن ذلك ما قاله لعمر بن العاص السهمي: [2]

زَعَـــمَ ابْـــنُ نَابِغَـــةَ اللّئِـــيمُ بِأَنَّنَـــا لا نجعـــلُ الأحســـابَ دونَ محمـــدِ
أمْوَالُنَـــا وَنُفُوسُـــنَا مِـــنْ دُونِـــهِ مَـــنْ يَصْـــطَنِعِ خَيْـــراً يُثَـــبْ ويُحمَّـــدِ
فِتْيَـــانُ صِـــدْقٍ، كَـــاللّيوثِ، مَسَـــاعِرٌ مَـــنْ يَلقَهُـــمْ يـــوْمَ الهِيَـــاجِ يُعَـــرِّدِ[3]
قَـــوْمُ ابْـــنِ نَابِغَـــةَ اللّئَـــامُ أذِلّـــةٌ لا يُقْبلـــونَ علـــى صَـــفِيرِ المُرْعَـــدِ[4]
وَبَنَـــى لَهُـــمْ بَيْتـــاً أبُـــوكَ مُقصِّـــراً كُفْراً وَلؤماً، بِـــئسَ بَيْـــتُ[5] المَحتِـــدِ[6]

نلاحظ هنا أن حسّان بن ثابت رضي الله عنه- لا يبغي في شعره الهجائي إلا رضى النبي ﷺ , ثم يتبيّن من الأبيات الشعرية السابقة أن حسّان استفاد من الألفاظ التي أدخلها القرآن على اللغة العربية والمعاني الجديدة , فزين بها شـــعره ســـواء الهجائي، أم غيره فهو يستخدم السعير والنار والثواب والعقاب وغيرها من الألفـــاظ التي وردت في القرآن الكريم.

ومن أسباب شعره الهجائي أيضاً الشدُّ من عزائم المجاهـــدين، والنيـــل مـــن أعدائهم بتثبيط هممهم ومعنوياتهم.

ومن ذلك ما قاله يوم بدر الكبرى [7]

---

(1) الحسب اللباب: الخالص غير المشوب.

(2) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص151.

(3) مساعر: جمع مسعر ومسعر رجل حدب إذا كان يورثها أي يوقدها وهي الهياج أي يـــوم الحدب، والتعرير هو الفرار وقيل سرعة الذهاب في الهزيمة.

(4) المرعد: أي المرتجف المضطرب خوفاً يقول: هم من الحين بحيث يهربون مـــن صـــفير الخائف.

(5) البيت: من بيوتات العرب الذي يجمع شرف القبيلة، تقول : فلان من أهل البيوتـــات ، أي من بيت كريم.

(6) المحتد: الأصل.

(7) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص187.

ألا ليتَ شعري هل أتــى أهــلَ مكــةٍ إبَارَتُنَــا[1] الكُفّــارَ فــي سَــاعَةِ العُسْــرِ
قتلنا سراةَ[2] القــومِ، عنــدَ رحــالهمْ فلــمْ يَرْجِعُــوا إلاّ بِقاصِــمةِ الظَهْــرِ
قَتَلنــا أبــا جَهْــلٍ وعُتْبَــةَ قَبْلَــهُ وشــيبةَ يكبــو[3] لليــدينِ وللنحــرِ
وكمْ قَدْ قَتَلْنَــا مِــنْ كــريمٍ مُــرَزَّأٍ[4] لَــهُ حَسَــبٌ فــي قَوْمِــهِ نَابِــه الــذّكْرِ
تَرَكْنَــاهُمُ لِلْعَاوِيَــاتِ [5] تَنُــوبُهُمْ ويصــلونَ نــاراً بعــدُ حاميــةَ القعــرِ

يتضح أن حسّان استخدم بعض المفاهيم في هجائه هنا، فأنت لا تعــرف أهــو يهجو أم يمدح أم يؤرّخ لحدث معين، فهو في البداية يشير إلــى قتلــة المشــركين وصفاتهم ومكانتهم بين قومهم، ومن ثم يعرج على موقفهم من الــدعوة الإســلامية, حتى يصل إلى قتلهم, وهنا يضمر الهجاء , وذلك انه يصفهم بالجثث الملقاة والتــي تنبح حولها الكلاب وتعوي الذئاب الجائعة , ورغم عذابهم في الدنيا فإنهم سيدخلون جهنم غير مأسوفٍ عليهم.

وكأنَّ حسّان يحاول أن يتغنى في نهاية قصيدته بالمســلمين ومقــاتليهم وهــذا يذكّرنا بقوله تعــالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [6]

ومن أسباب الشعر الهجائي أيضاً عنده بيان سوء العاقبة وقبحها، فلعــل ذلــك يكون سبباً في هداية من يأتي بعدهم.

ومن ذلك قوله: [7]

فــإنّ جِنَــانَ الخُلْــدِ مَنْزِلُــهُ بِهَــا وأمرُ الــذي يقضــي الأمــورَ ســريعُ

---

(1) أبارتنا: أي أهلكتنا نقول أبرنا القوم أي أهلكناهم.
(2) سراة القوم أي خيارهم وساداتهم.
(3) يكبو: يسقط ، والنحر : الصدر، وهذا كقولهم لليدين واللفم.
(4) رجل مرزأ أي كريم يصاب منه كثيراً.
(5) العاويات: أي الذئاب والسباع ويصلون ناراً أي يريد جهنم.
(6) سورة الأنفال، أية رقم 12
(7) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص 187

وقَــتْلاكُمُ فـــي النّـــارِ أفضَـــلُ رِزْقِهِـــمْ حَمِيمٌ[1] معاً، في جوْفِهـــا، وَضَـــرِيعُ[2]

فالهجاء يظهر هنا في بيان العاقبة والمنزلة التي سينالها قتلى المشركين الـــذين حاربوا الإسلام وأهله، فهم سيصلون النار ويبقون فيها أبداً وسيكون طعامهم شـــوكاً لا يُسمن ولا يُغني من جوع. وشرابهم فيها حميم يحرق أجـــوافهم. ومنهـــا أيضـــا السخرية ومحاولة إضحاك الناس على المهجو ومن ذلك ما قاله في جذام [3]

لعمـــر أبـــي سُـــمَيّةَ مـــا أُبَـــالي أنَـــبَّ التَّـــيْسُ[4] أم نطقـــتْ جُـــذَامُ

إذا مـــا شـــاتهمْ ولـــدتْ تَنـــاَدَوْا أجَـــدْيٌ، تحـــتَ شـــاتِكَ، أمْ غُـــلامُ

فنلاحظ أن الهجاء لم يكن هنا سبّاً وشتماً أو مساساً للأنساب، وإنّما مثّل هنـــا صورة في غاية السخرية لا يمكن أن نجد لها مدلولاً. إلاّ انّه أراد أن يُضحك كـــل من يطلع على هذه الأبيات على قوم جذام، فأراد من هذه السخرية أن ينغِّص حيـــاة من يهجوه، وبالتالي فإنّ شعره الهجائي وخاصة في المعارك قد كـــان لـــه الأثـــر المعنوي لترجيح كفة المسلمين في كسب معركتهم الحربية. [5]

وأسباب الهجاء في شعر حسّان الإسلامي كانت محدودة، ذلك أن حسّـــان بـــن ثابت وجد نفسه بعد ظهور الإسلام في دور لم يعمره من قبل، وهـــو أنـــه أصـــبح شاعراً للرسول ﷺ شيء غريب عليه, فكانت تجربة خطيرة لم يتعرض لها شـــاعر من قبل، وهو عليه دور هنا في الهجاء دفاعاً عن الإسلام والرســـول والمســـلمين، فعليه أن يهجو قوماً ما كان بينهم وبينه هجاء من قبل ولا عداوة ثمّ أنّ الرسول ﷺ الذي يمدحه ينتسب إليه, فكلُّ هذا مثّل موقفاً شائكاً لحسّان بن ثابت، ولكنّه اســـتطاع أن يخرج من هذا الموقف هاجياً ومادحاً وشاعراً مؤرخاً للأحداث التـــي حـــدثت، والغزوات التي وقعت فكان الشاعر الرسمي للإسلام[6]

---

(1) الحميم: الماء الحار.

(2) الضريع : طعام أهل النار.

(3) ابن ثابت، حسان، الديوان الشعري، ص405.

(4) نبّ التيس: أي صاح عند السفاد.

(5) ابن ثابت، حسّان، الديوان الشعري ، ص199

(6) المرجع نفسه، ص198

ونكتفي بهذا القدر من الأسباب التي دعت حسّان الهجاء في مرحلة إسلامه؛ لان هناك أسباباً قد يشترك بها مع مرحله جاهلية إذا لم تكن ظاهرة في شعره الإسلامي فإذا وجدت فلا حاجة لذكرها هنا.

### 3.4 شعر حسّان بن ثابت عن شرك قريش وموقفهم الفردي والجماعي من الإسلام في صورته الهجائية.

لقد بذل حسّان بن ثابت جهداً عظيماً في الدفاع عن المسلمين، سواء من قبيل الهجاء الذي ناله الأعداء من المشركين واليهود، أو من قبيل المدح الذي كان يرفع من معنويات المسلمين، فنلحظ من خلال الفصل الأول والذي يوضِّح الصورة الفردية للمهجو في شعر حسّان بن ثابت، إنه هجا زعماء المشركين، ومن كان لهم دور في محاربة الدين الإسلامي والرسولﷺ والمسلمين.

فنجده قد هجا أبا جهل بن هشام، والحارث بن هشام، وعتبة بي أبي وقاص، وأبا البختري، وأمية بن خلف، وصفوان بن أمية، وكعب بن الأشرف، وأيضاً في شعره القبلي قد هجا هذيلاً يوم الريع، وبني سليم في الردة، وهجا اليهود من بني قريضة.

من هنا نلحظ أنّ حسّان رضي الله عنه كان بمثابة الفارس المدافع بشعره عن الإسلام والمسلمين، مؤرخ لأخبارهم والأحداث التي تجري بشعره، وحتى على مستوى الغزوات كان شعره يمثّل وثيقة لسرد أحداث المعركة، أو الغزوة التي حدثت، لذا فإنّه لا يعني في هذا المبحث، إلاّ الإطلال على شعر حسّان الناقل لمواقف المشركين من الإسلام في صورته الهجائية، وسنحاول أن نركز هنا على بعض القصائد التي لم تتكرر في الفصل الأول والثاني، وبيان الصورة الهجائية ليتسنى لنا استنتاج الأسلوب الجديد الإسلامي في هجاء حسّان بن ثابت رضي الله عنه، ففي بداية الدعوة الإسلامية ومحاربتها من قبل المشركين وعلى رأسهم أبا

جهل حيث هجاه حسّان بن ثابت فقال: [1].

لَقَــدْ لَعَــنَ الــرّحمنُ جَمْعــاً يقــودُهُمْ دَعِيُّ بَنــي شَــجْعٍ لِحَــرْبِ مُحمّــدِ
مَشومٌ،[2] لَعِــينٌ، كــان قِــدْماً مُبَغَّضــاً يُبَيِّنُ فِيهِ اللّــؤمَ مَــنْ كــان يَهْتَــدي
فَدَلاّهُمُ فــي الغَــيّ، حتــى تهــافَتوا،[3] وكان مُضِلاً أمْــرُهُ، غَيــرَ مُرْشِــدِ
فَــأنْزَلَ رَبّــي لِلنّبــيّ جُنــودَهُ وأيّــدَهُ بالنّصْــرِ فــي كُــلّ مَشــهَدِ
وَإنّ ثَــوَابَ اللّــهِ كُــلِّ مُوَحِّــدٍ جِنانٌ مِــنَ الفِــرْدَوْسِ فيهــا يُخَلَّــدُ

يلحظ الباحث من خلال هذه الأبيات التي يظهر فيها هجاء حسّان بن ثابت لأبي جهل أنه لم يتعرض لنسب أبي جهل، وإنما هو ساق هجاءه على سياق القرآن الكريم من حيث اللعنة، والشؤم الذي يرافقه، فصوّره بصورة الرجل الملعون، هــو ومــن يقودهم والشاعر هنا قد تأثّر كثيراً بالقرآن الكريم وخاصّة في قوله:

فَــأنْزَلَ رَبّــي لِلنّبــيّ جُنــودَهُ، وأيّــدَهُ بالنّصْــرِ فــي كُــلّ مَشــهَدِ

وكأنّ الشاعر قد حاول أن يستلهم ألفاظه من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [4]

ثم بعد ذلك تتجلّى تلك الصورة المشرقة التي بدت تظهر في شعر حسّان بــن ثابت، تلك الصورة التي فيها البشرى والوعد بثواب الله، فبدأت تظهر أسماء جديدة في شعره كجنة الفردوس وعدن وغيرها من أسماء الجنان التي أعدها الله ســبحانه للمتقين من عباده.

وهكذا يتضح للباحث أن الشاعر بدأ ينحو بشعره الهجائي هنا منحاً آخر بعيداً

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص150.

(2) مشومٌ: وهو المشؤم، والشؤم نقيض اليمن، واللعين أي الذي يلعنه كل واحد.

(3) تهافتوا،أي تساقطوا من الهفت وهو السقوط، وأكثر ما يستعمل التهافت في الشر، ونقــول: تهافت القوم تهافتاً، أي تساقطوا موتاً.

(4) التوبة: آية 40.

عن المبالغة التي عرفت عنه في الجاهلية وخاصة في مسألة الهجاء.

مع ملاحظتنا للطابع الإسلامي البحت الذي كان ظاهراً في شعره الهجائي، فإنّ فيها من الطابع الإسلاميّ الشيء الكثير، وفي نفسه نجده يهجو هند بنت عتبة بن ربيعة بقوله:[1]

لِمَنِ الصّبِيُّ بجَانِبِ البَطْحَاء ... في التُّرْبِ مُلْقىً، غيرَ ذي مَهْدِ

نَجَلَتْ بِهِ بَيْضَاءُ آنِسَةٌ ... مِنْ عَبْدِ شمسٍ، صَلْتَةُ الخَدّ[2]

تَسْعَى إلى الصُّيَّاحِ مُعْوِلَةً ... يَا هِنْدُ إنّكِ صُلْبَةُ الحَرْدِ[3]

فإذا تَشَاءُ دَعَتْ بِمقْطَرَةٍ [4] ... تَذْكَى لَهَا بِأَلُوّةِ الهِنْدِ

غَلَبَتْ على شَبَهِ الغُلامِ، وَقَدْ ... بَانَ السّوَادُ لِحالِكٍ جَعْدِ

أشِرَتْ[5] لَكَاعٍ[6]، وكانَ عَادَنُهَا ... دَقَّ المُشَاشِ[7] بِناجِذٍ[8] جَلْدِ

وهنا تظهر صورة من أفزع صور الهجاء عند الشاعر حسّان بن ثابت في هند بنت عتبة، ولا ننسى أنها كانت من المحرضين على قتال المسلمين.

ويظهر أن الشاعر في هذه الأبيات حاول أن يذكر العورات الجنسية وإلصاق الفحش بالمهجو، ويزيد في هجائها بقولهِ: [9]

لمَنْ سَوَاقِطُ صِبْيَانٍ مُنَبَّذَةٍ،[10] ... بَاتَتْ تَفَحَّصُ في بَطحاءِ أجيْادِ

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص157.

(2) صَلْتَةُ الخَدّ: فالصلت الأملس، شرح ديوان ابن حسان، شرح عبد الرحمن البرقوقي، ص157.

(3) صلبة الحرد: أي شديدة الغيظ.

(4) المقطرة: وهي المجمرة من القطر وهو العود الذي يتبخر به.

(5) اشرت: من الأشر، والأشر البطر.

(6) لكاع: أي لكعاء لئيمة دنيئة لا خير فيها.

(7) المشاش: كل عظم لا مخ فيه.

(8) الناجذ: أحد النواجذ وهي الأضراس، الجلد : الصلب.

(9) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص158.

(10) منبذة: منبوذة ملقاة مطروحة.

بَاتَتْ تَمَخَّـضُ[1]، مـا كانـتْ قَوابلُهـا[2] إلاَّ الوُحـوشَ، وإلاّ جِنّـةَ الـوَادي
فِـيهِمْ صَـبِيٌّ لَـهُ أُمٌّ لَهـا نَسَـبٌ فـي ذُرْوَةٍ مِـن ذُرَى الأحسـابِ، أيّـادِ[3]
تقولُ وَهْناً [4]، وقـدْ جَـدّ المَخـاضُ بهـا يا لَيْتَني كُنْتُ أرْعـى الشَّـوْلَ[5] للغـادي

يصوّر الشاعر صورة من أبشع صور المعاناة في أثناء الولادة، وذلك لإظهار خسة صورة الوليد ونبذ الأم التي توارت عن الأنظار لعار قد لحقها.

فهو يصوّر الحالة التي كانت عليها المهجوة هنا أثناء وضعها وهي تتمرغ في التراب وتتفحص برجليها التراب كالدجاجة، لكي تهيئ لنفسها مكاناً تضع فيه وليدها، ويطوف حولها الوحوش وأجنة الوديان وكأنهم قوابل لوليدها.

ثم يأتي بعد ذلك إظهار الصورة التي كانت عليها من الضعف والوهن وقد استعار لفظة الوهن في بيته هذا من قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [6]

فالشاعر ما زال متأثّراً بالقَصَصِ القرآنيّ وبالمشاهد القرآنيّة.

لعلّها محاولة لربما تكون ناجحة في نظر الباحث عندما حاول أن يجعل هناك صورة حية تتمثل قمة الواقعية الممزوجة بروح الهجاء والسخرية، التي أرادها الشاعر هنا، فنجده يتيح للعقل إمكانية التخيل والتصور عندما يقرأ الأبيات الشعرية السالفة الذكر.

إذاً نلحظ كيف حدث هناك انزياح للهجاء في عهد الإسلام عند الشاعر حسّان بن ثابت، ليس فقط الهجاء وإنما الأسلوب الشعري الذي تحوّل إلى الطابع الإسلامي المحض، بل نجده شاعر الإسلام الأول في هذه الحقبة من الزمن.

ومن الهجاء أيضاً في هذه المرحلة والذي يمثّل هنا هجاء قبلي في عهد الإسلام

---

(1) تمخضّ: أي أخذها الطلق ووجع الولادة إذا دنت ولادتها.

(2) القوابل: وهي جمع قابلة، واقابلة التي تتلقى الولد عند ولادته من بطن أمه.

(3) إيّاد: شديد من أيد القوة.

(4) الوهن: الضعف.

(5) الشول: النوق: وهي جمع شائلة، وهي التي خفّ لبنها وارتفع ضرعها.

(6) سورة لقمان، آية 14.

ما قاله في غزوة بني قريظة [1].

لَقَـــدْ لَقِيَـــتْ قُرَيْظَـــةُ مـــا سَـــآهَا[2] وَمَـــا وَجَـــدَتْ لِـــذلِكَ مِـــنْ نَصِـــيرِ
أصَـــــابَهُمُ بَـــــلاءٌ كـــــانَ فِـــــيهِمْ سِوَى ما قدْ أصـــابَ بَنـــي النّضِـــيرِ
غَـــــدَاةَ أتَـــــاهُمُ يَهـــــوى إلـــــيْهِمْ رَسُـــولُ اللَّـــهِ كـــالقَمَرِ المُنِيـــرِ
لـــــهُ خَيْـــــلٌ مُجَنَّبَـــــةٌ تَعَـــــادِي[3] بِفُرْسَـــــانٍ عَلَيْهـــــا كالصُّـــــقُورِ
تَرَكْنَـــــاهُمْ ومَـــــا ظَفِـــــرُوا بِشَـــــيءٍ دِمـــــاؤهُمُ عَلَـــــيْهِمْ كـــــالعَبِير[4]
فَهُـــمْ صَـــرَعى تَحُـــومُ الطّيـــرُ فِـــيهمْ كَـــذاكَ يُـــدانُ ذو الفَنَـــدِ الفَخـــورِ[5]
فـــأُرْدِفُ مِثْلَهـــا نُصْـــحاً قُرَيْشـــاً مِنَ الـــرّحمنِ، إنْ قَبِلَـــتْ نَـــذِيري[6]

وفي هذه الصورة الهجائية نلحظ عكس ما كان يفعل سابقاً، فقد كـــان قـــديماً عندما يهجو إنسان يذكر السبب ويرجعه إلى القديم من النسب والأصل.

وهنا الصورة اختلفت، فهو يضع الأنساب ويجعل القربى هـــي قربـــة الـــدين والمسلمين، فعندما يهجوا القبيلة هنا يحاول أن يظهر أولاً صورة المسلمين، وإنّنـــا فعلنا وفعلنا ثم يأتي بالصورة الهجائية التي يصور حالة المشركين وهم قتلـــى، ثـــم ينهي بالذي ينهي به دائماً الترغيب والترهيب (الجنة والنار).

فالصورة الإسلامية لم تفارقه أبداً في قصائده في مرحلة إسلامه، فدائماً ينهـــي القصائد بالمجازاة سواء في النار أم في الجنة. فينيط بالمسلمين الجنة والفـــردوس الأعلى، وينيط بالكافرين الوعيد والتهديد ونار جهنم وبـــئس المصـــير. والغـــرض الهجائي البارز استحضار المعنوية العالية والشدة للمقاتلين المسلمين.

ومن الأغراض الشعرية أيضاً الدفاع عن الرسول ﷺ وعن الدعوة الإسلامية.

ومن ذلك قوله لبني بكرِ بْنِ عَبْدِ مَناة من كنانة: [7]

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص223.

(2) ما سَآهَا: أرد ما ساءها فقلب والعرب تفعل ذلك في بعض الأفعال .

(3) الخَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ: الخيل المقودة، وتعادى: تفي أنها تجري وتسرع.

(4) العَبِير: الزعفران.

(5) اليُدانُ: المجازاة، لفندٍ: أي الخروج عن الحق.

(6) النذير هنا مصدر بمعنى الإنذار.

(7) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص277.

أظَنّــتْ بَنــو بَكْــرٍ كِتَــابَ محَمّــدٍ[1] كإرْمائِها مــنْ أوْفَــضٍ ورَصَــافِ[2]
لأنْــتُمْ بحَمْــلِ المُخْزِيَــاتِ وجمعِهــا أحقٌّ مــنَ أن تســتجْمِعُوا لِعَفــافِ[3]
فقالوا على خَــطّ النبــيّ، فأصْــبحوا[4] أثــامَى بِنَعْلَــيْ بِغْضَــةٍ وَقِــرَافِ[5]

يستهجن الشاعر على بني بكر، ذلك الرد الذي لاقوا فيه كتاب النبي لهم، وما بهذا الكتاب إلا التفكير القاهر عندهم فهــم قــوم لا يفلحــون إلا بحمــل المخزيات، ولا يمكن لهم أن يكونوا من أهل العفاف والكــف عمّــا لا يحــل ويجمل.

ثم كعادته بعد الهجاء اللاذع الذي وجهه يذكر النتيجة التي سيكونون عليها بعد تكذيبهم للرسول ﷺ وهي نتيجة قد حصّلوها باقترافهم الآثام، تتمثل بــالإثم من الله تعالى والبغض منه على ما فعلوه من تكذيبهم لرسول الله محمد ﷺ.

ومن قصائده التي يظهر فيها الهجاء واضحاً جلياً لنصرة المسلمين، ورداً على من استبشر بمقتل سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه، حيث قال: [6]

كُنّــا نــرَى حمــزَةَ حِــرْزاً لنــا مِــنْ كــلّ أمــرٍ نابَنــا نــازِلِ
وكــانَ فــي الإسْــلامِ ذا تُــدْرإٍ[7] لــمْ يــكُ بــالوَاني، ولا الخــاذلِ
لا تفرَحي يــا هنْــدُ[8]، واســتحلِبي دمعــاً، وأذري عبــرَةَ[9] الثاكــلِ[10]

(1) كتاب محمد: أي الكتاب الذي كان من سيدنا محمد ﷺ إلى بني بكر.
(2) أوقظ ورهاف: موضعان.
(3) والعفاف: الكف عمّا لا يحل.
(4) خط النبي: أي تقوّلوا عليه وكذبوه.
(5) القراف: جمع قرف: أي التهمة.
(6) ابن ثابتــ حسان، الديوان الشعري، ص331.
(7) ذا تدرأ: أي ذا قوة على دفع أعدائه عن نفسه.
(8) هند: هي هند بنت عتبة بن ربيعة، قتل أبوها يوم بدر، حيث قتله حمزة رضي الله عنه.
(9) العبرة: الدمعة.
(10) الثاكل: الفاقد .

وابْــكِ عَلَــى عُتبــةَ، إذْ قطَّــهُ[1] بالسَّيْفِ تحــتَ الــرَّهَجِ[2] الجائــلِ[3]
إذْ خَــرّ فــي مَشْــيخَةٍ[4] مــنكُمُ مــن كــلّ عــاتٍ قلبُــهُ، جاهــلِ[5]
أرْداهُــمُ حمــزَةُ فــي أُسْــرَةٍ[6] يمْشونَ تحــتَ الحَلَــقِ[7] الْفَاضِــلِ[8]
غَــداةَ جِبريــلُ وَزيــرٌ لَــهُ نِعْــمَ وَزيــرُ الفــارِسِ الحامِــلِ[9]

يستخدم الشاعر أسلوب التصوير الفني للأحداث ليعيد هند إلى شريط الذكريات، وذلك بسرده قصة قتل أبيها كيف كانت حالته وطريقة قتله بأسلوب بشع جداً فيه من الغلظة والقوة والسخرية ما فيه.

فالشاعر هنا أراد أن ينال من مهجوه (هند بنت عتبة)، من خلال تذكيرها بأبيها وأخيها، وأن مصيرهم إلى النار.

هكذا أراد الشاعر أن يهجو هنداً، بأسلوب يغلب عليه الطابع الإسلامي فهو يستقي هجائه من نسق الأحداث التي كانت تدور في تلك الفترة، وللنظر إلى أسلوبه بعين المتمعّن، لنجد أن الأنساب والأحساب تذوب في شعر الغزوات والمعارك، ولا يبقى في شعرة إلاّ الشجاعة والإقدام والجراءة.

وفي المقابل للمهجو والضعف والهوان والسخرية من قتلاهم والوعد بالنار بعكس قتلى المسلمين الذين يمدحهم كما فعل سابقاً، والمصير إلى الجنة ونعم المصير.

ومن باب السخيرة في الهجاء عند حسّان ما قاله أيضاً في أبي جهل في قصيدة

---

(1) وقطه : قطعة.
(2) الرهج: الغبار.
(3) الحائل: هو المتحرك ذاهباً راجعاً.
(4) وقوله في مشيخة : يريد من قتل يوم بدر من عليه قريش عدا عتبة.
(5) خرَّ: أي سقط ووقع، والعاتي هو شديد الدخول في الفساد المتمرد.
(6) والأسرة : عشيرة الرجل ورهطه الأدنون لأنه يوقى بهم .
(7) الحلق: الدروع والمراد هنا السلاح كله .
(8) والفاضل: الذي يفضل وينجر على الأرض.
(9) والحامل: الذي يحمل الكل عن الناس.

ثانية أخرى، غير الذي ذكرناها سابقاً حيث قال: [1]

سـمّاهُ مَعشَـرُهُ أبـا حَكَـمٍ واللّـهُ سَـمّاهُ أبَـا جَهْـلِ
فمـا يجـيءُ، الـدّهْرَ، مُعتمِـراً إلاّ ومِرْجَـلُ جَهلـهِ يَغْلـي
وكأنّـهُ مِمّـا يجِـيشُ بِـهِ مُبـدي الفُجـورِ وسَـورةِ الجهـلِ
يُغْـرَى بـهِ[2] سُـفْعٌ لَعامِظَـةٌ،[3] مثـلُ السـباع شـرَعنَ فـي الضَّـحْلِ[4]
أبْقَـتْ رِيَاسَـتُهُ لمَعْشَـرِهِ غَضَـبَ الإلـهِ وَذِلّـةَ الأصْـلِ
إن ينتصِـرْ يـدْمَى الجبـينُ، وإنْ يلْبَـثْ قلـيلاً يُـوَدَ بالرَّحْـلِ

والسخرية هنا يبدؤها هنا بالتعليق على اسمه عندما انقلب من أبي الحكم إلى أبي جهل وهذا بحد ذاته هجاءٌ.

ثم يبدأ بوصف حالته في مكة عندما يرى المعتمرين فيغلي وجهه غضباً، وهو يشبه السباع إذا غضبت، وأرادت أن تبرد على نفسها فوردت على الماء، فهو كذلك يذهب إلى الغدران ليشرب الماء قهراً وحقداً.

وما يهمنا هنا هي تلك الصورة الهزلية التي رسمها حسّان لأبي جهل، وكأنه يصوّر ذلك في مخيلة السامع لشعره، لدرجة الضحك والاستهتار بهذه الشخصية التي كان يحسب لها حساباً، ولكن لبعدها عن الإسلام وتمسكها في الأصل، فقد أذلّها الله سبحانه وتعالى، فلم يبقَ لا أصل ولا حسب.

وها هو ما زال ينهي القصائد بأسلوب النتيجة الخاسرة للكافرين سواء في الآخرة أم في الدنيا.

ولربما كان هجاء حسّان بن ثابت سبباً في دخول البعض إلى الإسلام، وبالتالي شكّل حسّان أسلوباً جديداً للدعوة إلى الله، ومن ذلك ما هجا به الزبعرى عندما هرب

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص345.

(2) يغرى به: يولع به .

(3) ولعامظة: وهو الحريص الشهوان، واللعموظ أيضاً الذي يخدم بطعام بطنه مثل عضروط، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، ص345.

(4) والضّحل: الماء القليل يكون في الغدير ونحوه وشرعن أي وردن ليشربن، المرجع نفسه، ص345.

يوم فتح مكة من النبي ﷺ، حيث قال: [1]

لا تَعْـدَ مَـنْ رَجُـلاً أحَلّـكَ بُغضُـه نَجْـرَانَ، فـي عـيشٍ أحَـذَّ لئـيمِ[2]
بُلِيَتْ قناتُـكَ فـي الحُـروبِ فأُلفيَـتْ خمّانَـةً[3] جَوْفـاءَ، ذاتَ وُصُـومِ[4]
غَضِبَ الإلهُ على الزِّبعْـرَى وابنِـهِ، وَعَـذَابِ سُـوءٍ فـي الحَيـاةِ مُقِـيمِ

وقد وصل هذا الهجاء إلى الزبعرى، فسرعان ما عاد إلى الرسول ﷺ وأعلن إسلامه، وقال في ذلك شعراً يصف الحالة التي كان فيها عندما سمع بشعر حسّان.

فالشاعر في هجائه يحاول أن يوضّح للمهجو أنه يحزن لحاله ويغض لحاله فبعد القوة التي أتت عليها أصبحتْ ضعفاً ذا ضعفٍ وعيوب، ما بالك ترضى أن تحمل هذه الصفات وأنت من أنت، وأعلم أن نهايتك أيضاً غضبٌ من الله فأنت مطرود من بلادك، وينتظرك عذاب سواء في الحياة وفي الآخرة.

انظر كيف استطاع الشاعر أن يهجو الزبعرى بأسلوب يكاد يكون نوع من أنواع الدعوى، فحسان رضي الله عنه قد شكّل لنا مدرسة هجائية متنوعة الأهداف والأغراض، ذات أساليب مختلفة، بحيث يستفاد منها في كل النواحي الحياتية.

ولننطلق إلى أساليب أُخرى استخدمها حسّان في هجائه تتمثل فيما قاله من أبيات آتية، حيث هجا هذيلاً فقال فيهم: [5]

لَـوْ خُلِـقَ اللـؤمُ إنسـاناً يكلّمهُـمْ لكـانَ خَيْـرَ هُـذَيلٍ حِـينَ يأتِيهـا
تَرَى مـن اللـؤمِ رَقمـاً بـينَ أعيُـنِهِمْ كمـا كـوَى أذْرُعَ العانـاتِ[6] كاوِيهـا
تبْكـي القُبُـورُ، إذا مـا مـاتَ ميّـتُهُمْ حتى يَصِيحَ بمـنْ فـي الأرْضِ داعِيهَـا
مِثْـلُ القَنافِـذِ تَخـزَى أن تُفاجئَهـا شَدًّا لنهـارٍ، ويُلقـى الليَّـلَ سَـارِيها[7]

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص360.
(2) نجران: هي بلد من اليمن.
(3) خمانة: رخوة، رديئة.
(4) الوصوم: العيوب.
(5) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص424.
(6) العانات: جمع عانه وهي الأتان.
(7) شد النهار: أي أشد النهار وأعلاه وأمتعه.

وقال فيهم أيضاً: [1]

إنْ سـرَّكَ الغَـدْرُ صِـرْفاً لا مِـزَاجَ لـهُ فأتِ الرّجيعَ[2]، وَسـلْ عـن دارِ لِحيـانِ
قـوْمٌ تَوَاصَـوْا بأكـلِ الجـارِ كلُّهُـمُ فخيـرُهُمْ، رَجُـلاً، والتـيْسُ مِـثلانِ
لوْ ينطِـقُ التـيْسُ ذو الخَصْـيينِ وَسـطهمُ لَكـانَ ذا شَـرفٍ فـيهِمْ وَذا شَـانِ

فهنا الشاعر يحاول أن يظهر مساوئ هذيل الخلقية المتمثلة باللؤم والقبح، حتى أنه من شدة قبحهم ولؤمهم تأبى القبور أن تستقبل جثثهم، وهذه صـورة فنيـة قـد استوردها الشاعر من الطبيعة، ثم يستورد صورة من الحيـوان المتمثـل بالقنفـذ، وحالته في أن القنفذ تقنفذ نهاراً، فتخزي أن تفاجئها لاستخزائها، وأمـا لـيلاً فـإن ساريها يلقي، وكذلك هذيل للؤمهم وخستهم.

ثم يعلّق في الأبيات الأخرى على عاداتهم من عدم احترام الجار، وأنهم فـي أخلاقهم قد تساووا مع التيوس حتى أن التيس لو نطق لكان له شرف أكثر منهم.

لقد حاول الباحث أن يجمع ما يستطيع جمعه من ديوان الشاعر حسـان بـن ثابت، والتي ورد فيها الهجاء، ولكن هذا جهد المقل، حيث نثرت في هذا المبحث ما أستطيع من منوعات شعرية هجائية ، علماً بأنني أدرك أن هناك الكثير منها تناثر ما بين مفردات قصائده، ولعل هناك قصائد حوتها الفصـول السـابقة قـد عالجـت موضوعات الهجاء سواء في المرحلة الجاهلية للشاعر أم في مرحلة إسلامه.

وفي المحصّلة نجد أن كلاً من هذه النماذج التي ذكرناها فـي هـذا المبحـث وغيره مما سبق كانت تعالج موضوعاً معيناً، شكل بحد ذاته سبباً لقـول القصـيدة وغايتها، وقد تطرقنا إلى هذه الباب في المبحث الأول من هذا الفصل، وما كان منا إلاّ أن نجمع هذه القصائد التي وضعناها بين يدي القارئ لإظهار هذه الموضوعات الهجائية وأسبابها.

---

(1) البرقوقي، شرح ديوان حسان بن ثابت، ص416.

(2) الرجيع: هو ماء للهذيل وقد تقدم شرحه.

**الخاتمة**

لقد مثّل الشاعر حسّان بن ثابت أحد الأعمدة التي بني عليها التاريخ الإسلامي في عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين، فشكّل منارة من منارات الفن الإسلامي فكانت حياة الشعر تمثل صور لحياة الشاعر المخضرم الذي لحق الجاهلية والإسلام وشهد التغير الجذري في بناء المجتمع العربي، كما عاصر بداية تكوين الدولة العربية الجديدة واستطاع فيه أن يرسم صورة العصر القديم عصر الجاهليين وبداية العصر الجديد عصر الدعوى الإسلامية، فلم يستطع أن يلاحق الأحداث بفنه في عصر الخلفاء الراشدين.

لقد مثّل حسان بن ثابت منهجاً مستقلاً في فن الهجاء، قد صبّ موهبته الشعرية وقدرته التصويرية وإبداعه في الهجاء ، وكأنه حين يهجو يمثّل سيلاً جارفاً يسحق كل ما يمرّ به ، فلم يترك حيلة أو وسيلة لهجاء عدوه، ولم يترفّع عن أي وصف مقذع وشنيع، وذلك في المرحلتين التي عاشها سواء الجاهلية أم الإسلاميّة.

**النتائج**

من خلال البحث في ديوان حسّان بن ثابت عن الصورة الهجائية للمهجو الفرد والقبيلة والصورة أيضاً في عهد الإسلام برز للباحث مجموعة من النتائج كان من أهمها:

1. أن الهجاء مثّل فناً متعدد الصور، بحيث استخدم لأكثر من غرض شعري من الثورة التبعية النفسية، إلى السخرية والاستهزاء، ومن الصورة الإيجابية إلى الصورة السلبية أو صورة المقارنة.
2. أن حسّان بن ثابت قد نوّع في هجائه ما بين الفرد والقبيلة وما بين الهجاء في الجاهلية بألفاظه والهجاء في عهد الإسلام بأسلوبه ودفاعه.
3. مثّل هجاء حسّان بن ثابت وثيقة تاريخية وخاصة عندما كان يهجو مقاتلي الكفار في غزوة بدر، وأحد، وغيرها من المعارك، ففي خِضم هجائه كان يصور المشهد كاملاً بشخوصه وتاريخه ومكانه، فكانت القصيدة تمثّل وثيقة تاريخية.
4. لقد مثّل هجاء حسّان بن ثابت انزياحات لفظية ووصفية في شعره، وخاصة

عند الانتقال من الهجاء الجاهلي إلى الهجاء الإسلامي.

5. حاول الشاعر حسّان بن ثابت أن يسخّر شعره الهجائي في مرحلة إسلامه إلى أهدافٍ متعدِّدة تمثّل في الدفاع عن الإسلام وعن الرسول ﷺ وعن المسلمين، والدعوة إلى الإسلام.

لقد مثّل حسّان بن ثابت في نهاية عصره شاعر الإسلام والمسلمين، بل (شاعر النبي ﷺ، فيكفيه شرف هو وشعره أن يناط هذا اللقب به وهو شاعر النبي محمد ﷺ، حسّان بن ثابت).

## المراجع


ابراهيم، صاحب خليل، (2000)، **الصورة الشعرية في الشعر العربي قبل الإسلام**، اتحاد الكتاب العرب، ط1.

اسليم، فاروق أمين، (1998)، **الانتماء في الشعر الجاهلي**: اتحاد الكتاب العرب، ط1.

البرقوقي، عبد الرحمن، (1929)، **شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

التونجي، محمد، (1993)، **الاتجاهات الشعريّة في بلاد الشام في العصر العثماني**، منشورات اتحاد الكتاب العربيّ، ص343

ابن ثابت، حسّان، (1974)، **الديوان الشعري**، تحقيق سيد حنفي وكامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،المكتبة العربية، د.ط،1974م.

الجمحي، محمد بن سلام، (د،ت) **طبقات الشعراء**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ص52.

ابن حمدون، (د،ت)، **التذكرة، الحمرونية**، دار القلم، بيروت، د.ط، د.ت.

ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (1994)، **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسّان عباس، دار صادر، بيروت، ط1.

الجندي، علي، (1996)، **تاريخ الأدب الجاهلي**، ح1، بيروت، ط3.

حسنين، سيد حنفي، (1963)، **حسّان بن ثابت،، شاعر الرسول**، المؤسسة المصرية العامة، وزارة الثقافة مصر.

الخواجا، زهدي صبري، (1984)، **الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي** ، دار الناصر للنشر والتوزيع، مصر ، ط1

الدهان، محمد سامي، (د،ت)، **فنون الأدب العربي ( الهجاء)** دار المعارف، القاهرة، ط3.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (1984)، **كتاب العِبر في خبر من عبر**، ت: صلاح الدن المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

الزمخشري ، جار الله محمود بن عمـــر، (د،ت)، **أســـاس البلاغـــة** ، دار الكتـــب المصرية ، القاهرة ، ج2.

سالم عبد العزيز، (د،ت)، **تاريخ العرب في عصر الجاهليـــة**، دار النهضة العربية، بيروت، د، ط، ص496.

سالم، عبد العزيز، (1963)، **الدراسات في تاريخ العـــرب**،دار الكتـــب الجامعيـــة، الإسكندرية، ط1،ج1 عصر ما قبل الإسلام.

ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن سيدة،(1316هـــ)، **مروج الذهب**، المطبعة الأميرية، القاهرة. انظر : لسان العرب، مج15.

سرميليان، ليون،(1987) **بناء المشهد الروائي**، ترجمـــة فاضـــل تـــامر، الثقافـــة الأجنبية، بغداد.

السمعاني، عبدالكريم بن محمد بـــن منصـــور، (1988)، **الأنســـاب**، ت: عبـــدالله عمرالبارودي، ط1، دار الجنان، بيروت، لبنان.

ضيف، شوقي، (د،ت)، **تاريخ الأدب العربي، العصـــر الجـــاهلي**، دار المعـــارف، مصر، (د.ط)، ص195.

الطباع، عبدالله أنيس، (1955)، **شاعر النبي حسّان بن ثابت**، الجامعـــة اللبنانيـــة، بيروت.

عتيق ، عبد العزيز، (1971)، **في النقد الأدبي** ، دار النهضة العربية، ط1.

عجلان، عباس بيومي،(1985)، **الهجاء الجاهلي، صوره وأساليبه الفنية**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د ط.

علي، محمد عثمان، (1984)، **في أدب الإسلام عصر النبوة والراشـــدين وبنـــي أميّة**، دار الأوزاعي، بيروت ، لبنان.

المجالي، حسن، (د،ت)، **أثر الفنون في الشعر العربي**، السرد، الدراما، رسالة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة مؤته.

ابن منظور، جمال الدين محمد ،(د،ت)، **لسان العرب**، الدار القومية ، مادة (هجو)، مج15

نور الدين، حسن، (2000)، **موسوعة أُمراء الشعر العربي**، شركة رشاد بـــرس، بيروت ، ط1.